معالم القرآن والسنة

MAᶜĀLIM AL- QUR'ĀN WA AL-SUNNAH

مجلة محكمة تصدرها كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

A Refereed Journal Published by the Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Universiti Sains Islam Malaysia

ISSN : 1823 - 4356 (Vol. 8 No. 9 2013)

السنة الثامنة، العدد التاسع ٢٠١٣م

محتويات العدد



www.usim.edu.my

MA^C^ALIM AL-QUR'AN WA AL-SUNNAH

مجلة محكمة تصدرها كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

A Refereed Journal Published by the Faculty of Quranic and Sunnah Studies
Universiti Sains Islam Malaysia

ISSN : 1823 - 4356 (Vol. 8 No. 9 2013)

السنة الثامنة، العدد التاسع ٢٠١٣م

محتويات العدد

 

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ
وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ سورة البقرة: ١٥١ – ١٥٢

 

ISSN 1823 - 4356

Publisher / الناشر



Faculty of Quranic and Sunnah Studies /كلية دراسات القرآن والسنة

Universiti Sains Islam Malaysia /جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

Universiti Sains Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai 71800 Nilai, Negeri Sembilan
Tel: 06- 7986796   Fax: 06- 7986709
Web Site: http//www.usim.edu.my / http://fpqs.usim.edu.my

Layout & Printing / تصميم وطباعة

Aliff Resources
No. 407C Kompleks Diamond
Bangi Business Park
43650 Bandar Baru Bangi, Selangor
Tel: 03-82100186   Fax: 03-82102187

معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الثامنة، العدد التاسع، ٢٠١٣م

ياسر بن إسماعيل راضي*

مهارات قراءة القرآن الكريم في الصلاة

Abstract

Research Problem, The lack or scarcity of the influential *imam* in reading *Qur'an* on the Islamic world level. Following our great teacher the Prophet (peace be upon him), and his companions (may Allah be pleased with them) and this is the problem of the study.The research aims to make the *Imam* acquires and possess the skill of pictorial and explanatory reading, through mastering of four main skills, as the following:
First skill: the skill of *(Tarteel*), reciting *Qur'an* in the prayer. Second skill: the skill of good starting and ending*(al-wakf wa al-ibteda'*) in the reciting of the *Qur'an* during the prayer. Third skill: the skill of *al-taghanni* in reciting *Qur'an*. Fourth skill: the skill of choosing the appropriate verses and *suras* in the prayer. As for the method, the research followed the inductive and analytical approach for the above mentioning skills from the *Qur'an ,Sunnah* and the heritage of the companions and those scientist who came after them. The research found several conclusions, including: that the term skill has a legitimate origin in the words of the Prophet(peace be upon him),and no doubt these four skills are indispensable for all *imams.*

المقدمة:

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾،[ص: ٢٩]، والصلاة والسلام على أحسن الناس صوتاً في قراءة القرآن الكريم، وأكثرهم خشوعاً لآياته، وأعظمهم تدبراً لمعانيه، وأحقهم عملاً لأوامره وأحكامه ونواهيه؛ محمد بن عبد الله ﷺ ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، أما بعد:

فإن موضوع مهارات قراءة القرآن الكريم في الصلاة من الموضوعات الفاعلة في تطوير أداء الأئمة والخطباء حال إمامتهم، سواء في الصلوات الجهرية المفروضة منها أو النافلة. إذ اعتاد كثير من الأئمة السير على نمط واحد، ومستوى محدَّد في قراءة القرآن الكريم؛ اعتقاداً منهم بالواجب الكفائي في صحة الصلاة! مما قَلَّ وجود الإمام المؤثر في قراءته للقرآن الكريم، والماهر في جذب قلوب المصلين إلى معارج التدبر وسلم الخشوع للآيات المقروءة. وبمعنى أوضح فإنه يندر في الأئمة وجود ما يسمَّى: بالقراءة التفسيرية والتصويرية المؤثرة في المصلين. وهذه هي مشكلة البحث الموضوعة للدراسة، والسبب الرئيس في اختيار موضوعها.

* أستاذ مساعد في جامعة طيبة. المملكة العربية السعودية

فالإمام يشترك في تبليغ رسالة القرآن، وتفسير آياته، وبيان معانيه، بما يملك من وسيلة متاحة حال إمامته وهي: النقل الصوتي لكلمات القرآن وآياته وسوره لجمهور المصلين، لذا تأكَّد في حقه ممارسة مجموعة من المهارات العملية المقنَّنة الخاصَّة بقراءة القرآن الكريم التي تعينه على أداء رسالته وتبليغها، متمثلاً في ذلك بفعل المعلم الأول محمد ﷺ، وفعل أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد أفاد البحث من الدراسة الميدانية والتحليلية لعينة مختارة من مشاهير الأئمة القرَّاء من خلال المقابلات الشخصية لبعضهم، والتسجيلات الصوتية لآخرين منهم.

وإن من أهداف الدراسة وأهميتها، ما يأتي:

١. إن كان كلام الناس بعضهم لبعض يحتاج إلى مهارة في الاتصال، وأساليب في التأثير، وبراعة في الإقناع، لفهم رسالتهم، وإدراك مقصدهم، واستجابة طلبهم، فهو في كلام الله تعالى أحق وأولى .
٢. التأصيل الشرعي للمهارات المقصودة بالدراسة، وما يتفرع عنها.
٣. التأكيد على إتقان أصل التلاوة، وأس المهارات؛ وهو علم التجويد بجميع أحكامه ومباحثه؛ إذ لا يستطيع القارئ أن يكتسب أيّ مهارة إلا من خلاله والعمل به.
٤. بيان ما يُعدُّ من المهارات ومالا يُعَدُّ في قراءة القرآن الكريم في الصلاة.
٥. تكوين مثال من الأئمة المؤثرين لهم بصمتهم في دعوة المأمومين إلى تدبر آيات القرآن الكريم، والتفكر في معانيها، والكشف عن إعجاز القرآن وعظمته.

تتكون خطة البحث من تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. أما التمهيد فعن مصطلح المهارة، وأما المباحث فهي:

المبحث الأول: المهارة الأولى: مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

المطلب الثاني: ما يُعَدُّ من مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المبحث الثاني: المهارة الثانية: مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

المطلب الثاني: ما يعُدُّ من مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن في الصلاة.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن في الصلاة.

المبحث الثالث: المهارة الثالثة: مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة .

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

المطلب الثاني: ما يعُدُّ من مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المبحث الرابع: المهارة الرابعة: مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

المطلب الثاني: ما يعُدُّ من مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

وأحمد الله تعالى أن يسَّر هذا البحث وأعان على إنجازه، ووافر الشكر والعرفان لجامعة طيبة بالمدينة المنورة ممثلة بعمادة البحث العلمي التي قدمت دعمها، وذللت الصعاب في خدمة البحث والباحث.

هذا والله أسأل؛ أن ينفع بهذه الدراسة كل إمام، يريد تطوير نفسه، وتحسين أدائه، وتبليغ رسالة القرآن في صلاته. فإن أصاب اجتهادي؛ فبتوفيق من الله تعالى ومنّه، وإن أخطأ؛ فمن نفسي ومن الشيطان. سائلاً المولى عز وجل أن يعفو ويصفح، ثم يتقبل ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

تمهيد: تعريف مصطلح (المهارة):

المهارة في اللغة: الحذق في الشيء, ومهر الشيء ومنه وبه؛ مهر مهارة: أحكمه وصار به حاذقاً, فهو ماهر. والماهر: الحاذق بكل عمل. والجمع مَهَرةٌ. ويقال: مهر في العلم وفي الصناعة وغيرهما. وتمهر في كذا: حذق منه فهو متمهّر.[١]

المهارة اصطلاحاً: لم ترد مفردة (مهر) أو أحد مشتقاتها في القرآن الكريم, وقد وردت في الحديث النبوي الشريف، واستعملت بعدة معان:

١. استعملت بمعنى الفَرَس, وذلك في قوله ﷺ: "خير مال المرء **مُهرة** مأمورة أو سكة مأبورة ".[٢]

---

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. ١٤٢٣هـ. *لسان العرب*. القاهرة: دار الحديث. ط١. ٤٢٨٧/٦. ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط، دار الدعوة، ص٨٨٩.

[٢] البيهقي، أحمد بن الحسين. ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م. *السنن الكبرى*. ح٢٠٥٢٣. كتاب الأيمان. باب: من حلف ماله مال وله عرض أو عقار أو حيوان. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ط٣. ٦٤/١٠.

٢. استعملت بمعنى الصَّداق, وذلك في قوله ﷺ: "أيما امرأة نُكِحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل, -ثلاثاً- فإن دخل بها فلها **المهر** بما استحل من فرجها, فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له".[٣]

٣. استعملت المهارة بمعنى الحذق والإتقان, وهذا بيّنٌ واضح في قوله ﷺ: "**الماهر** بالقرآن مع السفرة الكرام البررة, والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران".[٤] يقول الإمام الخازن: يعني الحاذق الكامل الحفظ, الجيد التلاوة.[٥] فالماهر هو الحاذق به الذي لا تشق عليه قراءته لجودة حفظه وإتقانه.[٦]

ونلحظ أن هذا الحديث الوحيد التي استعمل فيه النبي ﷺ هذا المصطلح مقروناً بخدمة كتاب الله تعالى، وهو استعمال خاص يتضمن كل مهارة خادمة لكتاب الله تعالى قراءةً وحفظاً. فالناظر في أقواله ﷺ وأفعاله المتعلقة بالقرآن الكريم سواء في حال الصلاة، أو في خارجها يتأكد عنده هذا المعنى. وعليه يمكننا تعريف المهارة في قراءة القرآن الكريم بأنها: إحكام القراءة وإتقانها حفظاً وأداءً.

ويلحق بها كل ما يخدم قراءة القرآن الكريم من علوم ومعارف, يُعدُّ من المهارة في تلاوته.

المبحث الأول: المهارة الأولى: مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

أولاً: التعريف بمهارة الترتيل.

يعرّف الترتيل لغة: الترسُّل، مصدر رتَّل فلان كلامه، إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة. والترتيل في القراءة: التَّرسل فيها والتبيينُ بغير بَغْيٍ. ورتَّل الكلام ترتيلاً: أحسن تأليفه. وترتَّل فيه: ترسَّل. كقولنا: على رِسلك، أي: على مهلك، وهينتك.[٧]

والترتيل في الاصطلاح: قراءة القرآن بتمهل وتؤَدة واطمئنان، وعلى مكث وتدبر، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها من المخارج والصفات والمدود.[٨]

---

[٣] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م. *جامع الترمذي*. ح(١١٠٢). كتاب النكاح. باب: لا نكاح إلاّ بولي. الرياض: دار السلام. ط١. ٤٠٧/٣.

[٤] مسلم، أبو الحسين بن حجاج. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. *صحيح مسلم*. ح(٢٤٤). كتاب الصلاة. باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه. الراض: دار السلام. ط١. ص٣٢٣.

[٥] الخازن. علاء الدين علي بن محمد. ١٤١٥هـ. *تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل*. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ٥/١.

[٦] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. ١٩٨٨م. *التيسير بشرح الجامع الصغير*. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي. ط٣. ٨٧٨/٢.

[٧] ابن منظور. *لسان العرب*. ٢٦٥/١١. والفيروز أبادي. ١٤٣٠هـ. *القاموس المحيط*. بيروت: المكتبة العصرية. ط١. ١٢٩٧/١.

[٨] محمود، بدر حنفي. *البسيط في علم التجويد*. د.ن، د.ت. ٧/١.

وليس الترتيل كما هو شائع عند بعضهم بأنه التجويد؛ أي: تجويد القرآن المتضمن أحكام علم التجويد، وإنما هو التأني والتؤَدة والتَّمهل في القراءة القائمة على أساس التجويد، أي: قراءة القرآن كما أنزل. وهذا هو مقصود الإمام علي ﷺ عندما سُئل عن الترتيل، فقال: "تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف".[٩]

ويوضِّح المحقِّق العلامة الطاهر بن عاشور التَّرتيل بوصف أدق؛ فيقول: "والتَّرتيل : جعل الشيء مرتَّلاً, أي مفرقاً, وأصله من قولهم: ثغر مرتَّل, وهو المفلج الأسنان, أي المفرق بين أسنانه تفريقاً مكيلاً بحيث لا تكون النواجذ متلاصقة. وأريد بترتيل القرآن ترتيل قراءته, أي التَّمهُّل في النطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع".[١٠]

والترتيل مرتبة من مراتب قراءة القرآن الكريم كما صنَّفها العلماء؛[١١] وهي: (التحقيق[١٢]، والترتيل، والحدر[١٣]، والتدوير) [١٤]. والفرق بين مرتبة الترتيل، ومرتبة التحقيق المتأنِّية: (أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل للتدبر والتفكر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل, وليس كل ترتيل تحقيقاً). [١٥]

فالمقصود من هذه المهارة؛ أن يقرأ الإمام في صلاة الفريضة خاصّة بمرتبة الترتيل ويقدمها على غيرها من مراتب القراءة، اقتداءً بفعل النبي ﷺ في إمامة الصلاة المكتوبة، فلم يؤثر عنه فيها سوى هذه المرتبة. وهذه بعض الآثار في صفة قراءة النبي ﷺ:

---

[٩] الأشموني، أحمد بن محمد١٤٣١هـ- ٢٠١٠م. *منار الهدى في بيان الوقف والابتداء*. تحقيق ودراسة: أ.د. أحمد عيسى المعصراوي؛ أحمد عبد الرازق البكري. القاهرة: دار الإمام الشاطبي. ط١. ص٣٤.

[١٠] ابن عاشور. محمد الطاهر. ١٩٨٤هـ. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر. ٢٩/٢٦٠.

[١١] قسم العلماء القراءة إلى هذه المراتب على خلاف بينهم في عددها، وشمول بعضها بعضاً، فبعضهم جعلها ثلاثاً: التحقيق ومنه الترتيل، والحدر ثم التدوير. ينظر: الحمد، غانم قدوري. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. *شرح المقدمة الجزرية*. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة. ط١. ص٣٥٨. وبعضهم جعل المراتب كلها تندرج تحت مرتبة الترتيل. ينظر: جمعية المحافظة على القرآن. المنير في أحكام التجويد. الأردن: المركزية. ٢٠٠٧م. ط١١. ص٢٦.

[١٢] (التحقيق: هو مصدر من حققت الشيء تحقيقاً إذا بلغت يقينه. ومعناه المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه.... وهو عند – القرّاء– إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة . وإتمام الحركات. واعتماد الإظهار، والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها. وإخراج بعضها من بعض بالسكن والترسل والتؤَدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس. ولا إسكان محرك . ولا إدغامه . فالتحقيق يكون لرياضة الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط). ابن الجزري، محمد بن محمد. *النشر في القراءات العشر*. مراجعة وإشراف: علي محمد الصباغ. بيروت: دار الكتب العلمية. ١/٢٠٩.

[١٣] (الحدر: مصدر من حدَر بالفتح يُحدر بالضم؛ إذا أسرع، فهو من الحدور الذي هو الهبوط، وهي إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر. والتسكين. والاختلاس. والبدل. والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ..... مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ. و تمكن الحروف)، ينظر: المصدر السابق، ١/ ٢١٠. والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤٢٦هـ. *الإتقان في علوم القرآن*. مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١. ٦٣٧/٢.

[١٤] (التدوير: هو قراءة القرآن بحالة متوسطة بين الاطمئنان والسرعة –أي التحقيق والحدر–مع مراعاة الأحكام)[١٤]، ينظر: نصر. عطية قابل، غاية المريد في علم التجويد. (٤)، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٢٠.

[١٥] السيوطي. الإتقان. ٦٣٦/٢.

- عن يعلى بن مالك أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً.[١٦] وهو وصف دقيق للقراءة. فلولا أن تكون متأنِّية لما استطاع السامع أن يَعُدَّها حرفاً حرفاً.
- وتصف عائشة رضي الله عنها قراءة النبي ﷺ فتقول: كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها.[١٧] وفيه دلالة واضحة على وصف القراءة بالتَّأني والتَّمهل.
- كما يصف أنس ﷺ قراءة النبي ﷺ بقوله: "كانت مدًّاً. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم".[١٨]

ثانياً: أصل مهارة الترتيل: الأصل في مهارة الترتيل:

- قول الله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[١٩] يقول الإمام ابن الجزري: "وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ﴾[٢٠]. قال ابن عباس: بيِّنه. وقال مجاهد: تأنّ فيه. وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً. يقول تعالى: تلبَّث في قراءته وتمهَّل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده. ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكَّده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له؛ ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه. وكذلك كان ﷺ يقرأ".[٢١]
- وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾.[٢٢] قال قتادة: أي بينَّاه تبييناً.[٢٣] وقيل: فصَّلناه، وقيل فسَّرناه.[٢٤]

---

[١٦] أخرجه الترمذي، *كتاب فضائل القرآن*. باب: ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ. ح(٢٩٢٣). ص٦٥٧.

[١٧] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. ١٣٧٩هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. كتاب: فضائل القرآن. باب: الترتيل في القراءة. ح(٣٢٣٥)، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة. بيروت. ١٢٥٦/٣.

[١٨] صحيح البخاري. كتاب: فضائل القرآن. باب: مدِّ القراءة. ح(٥٠٤٦). ص٩٠٣. أبو عبد الله محمد بن اسماعيل. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ط٢.

[١٩] سورة المزمل: ٤.

[٢٠] سورة المزمل: ٤.

[٢١] ابن الجزري، النشر، ٢٠٨/١.

[٢٢] سورة الفرقان: ٣٢.

[٢٣] أخرجه ابن أبي حاتم بسنده الصحيح عن قتادة، ينظر: ياسين، حكمت بن بشير. ١٤١٩هـ. *التفسير الصحيح: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير المأثور*. المدينة المنورة: دار المآثر. ط١. ص٤٩٤.

[٢٤] أبو حيان، محمد بن يوسف. ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م. *البحر المحيط*. دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وجماعة. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ٤٥٥/٦.

ثالثاً: أهمية مهارة الترتيل:

القراءة بمرتبة الترتيل من أعظم الأسباب الداعية إلى تدبر القرآن الكريم والاعتبار بآياته، والنظر في معانيه، لأنها قراءة صفتها التأني والتمهل والطمأنينة، وهذه صفات ملازمة لمسألة التدبر. لذا أُمِرَ ﷺ بقراءة القرآن على هذه المرتبة؛ وبهذه الكيفية لتبيينه للناس، بل وَحَثَّ على قراءة القرآن بهذه الكيفية، أي: كما أنزل القرآن بها. يقول الإمام ابن الجزري: " وروينا عن زيد بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل" أخرجه ابن خزيمة في صحيحه[٢٥] ". [٢٦] ويقول الفخر الرازي في تفسيره: " السنة أن يقرأ القرآن على الترتيل ......، والفائدة فيه أنَّه إذا وقعت القراءة على هذا الوجه فهم مِن نفسه معاني تلك الألفاظ، وأفهم غيره تلك المعاني، وإذا قرأها ب السرعة لم يَفهم ولم يُفهم، فكان الترتيل أولى".[٢٧]

مما سبق بيانه في معنى الترتيل فقد عُلم أنه من المهارة أن يقرأ الإمام القرآن الكريم في الصلاة الجهرية بمرتبة الترتيل، يؤديها بكل طمأنينة وتؤدة وتريُّث، فهي مفتاح التدبر للسامع المأموم وأصل له للتأمل والتفكر، وبها تطمئن نفسه، ويستقر فكره لفهم الآيات الكريمات، والسباحة في معانيها ودلالاتها وبلاغتها وأسلوبها، فيحصل بهذا المقصود من نزول القرآن الكريم. يقول الإمام السيوطي: "وتسنُّ القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[٢٨].وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾[٢٩]" [٣٠]. وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: "واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر؛ فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرَمَة[٣١] والاستعجال".[٣٢]

[٢٥] لم أجده في صحيح ابن خزيمة، وهو في جامع الأحاديث، للسيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. على جمعة. ٢٤٧/٨.

[٢٦] ابن الجزري، النشر، ٢٠٨/١.

[٢٧] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ. ط٣. ٦٩/١.

[٢٨] سورة ص: ٢٩.

[٢٩] سورة النساء: ٨٢.

[٣٠] السيوطي. *الإتقان*. ٦٧٨/٢.

[٣١] سيأتي تعريفها لاحقاً.

[٣٢] ابن الجزري. النشر. ٢١٠/١.

قال الإمام الحجة أبو عمرو الداني:

قد وردَ الترتيل في التنزيل — من غير تقييـــدٍ ولا تأويلِ

بل ظـاهرٌ مبينٌ أتـــانا — في قولـــه ورتـــل القـرآن

كفى بهذا قوةً وحـــجةً — فاركبْ هُديتَ واضح المحجة[٣٣]

ونستطيع القول؛ أن مرتبة الترتيل مَرتبةٌ مغايرة عن مرتبة التحقيق والحدر والتدوير، ولا تندرج هذه المراتب ضمنها على ما ذهب إليه مجموعة من العلماء، وذلك لعدة أسباب:

١- ما جاء في وصفها آنفاً من الطمأنينة والتأنّي والتؤَدة، وهو ما لا يتحقق مع بقية المراتب. فمرتبة التحقيق وإن كان ينطبق عليها ذلك إلاَّ أنه عنى بها التعليم والتدريب على إتقان التجويد وأحكامه. ومرتبة التدوير والحدر؛ قراءة متوسطة وسريعة، لا تعين على التدبر والتفكر والنظر، إذ لا يستطيع المستمع أن يقف هنيهة مع نفسه لتدبر بعض المعاني؛ إلا ويجد الإمام قد وصل في قراءته إلى مقاطع أخرى من الآيات أو انتقل إلى آية بعد آية! وبهذا يفوت المأموم سماعها والتفكر في معانيها .ثم ألا ترى الإمام إذا قرأ بمرتبة التدوير أو الحدر يسرد الآيات سرداً؛ ثم إذا أراد أن يبيِّن بعض دلالات الآية أبطأ في القراءة وتأنَّى، وربما علا صوته وارتفع، وذلك بُغية جذب المستمع لمراده. ففي هذا؛ دليل على أن قراءتي: (الحدر والتدوير) غير مناسبة لحالة الخشوع والتدبر والتفكر عموماً. والواقع المشاهد في الصلوات الجهرية دليل واضح يؤيد ما ذكرنا.

٢- جاء في وصف قراءة النبي ﷺ أنها مرتلة مبيَّنة ومفسَّرة حرفاً حرفاً. وبها كان يصلي، ولم ينقل عنه غير ذلك حتى في صلاة النافلة،[٣٤] لأنه مأمور بالتبيين وتبليغ القرآن وقراءته كما أنزل. فكيف تكون مرتبة الحدر والتدوير من قراءته في الصلاة، وقد نقل الإمام ابن الجزري بسنده عن كبار القرّاء عن أبي بن كعب ﷺ أنه قرأ على ﷺ بالتحقيق[٣٥]. وكما ذُكر فإن مرتبة الترتيل من التحقيق وليس العكس، أما قراءة التدوير والحدر فهي مذاهب كثير من القرّاء؛ ذكرهم ابن الجزري في النشر.[٣٦]

٣- لو كانت بقية مراتب القراءة كالحدر مثلاً مندرجة تحت الترتيل لما اختلف العلماء في مسألة أيهما أفضل- كما نقله الإمام ابن الجزري وغيره عن القرَّاء – هل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة؟[٣٧]

٤- عاب الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ على من قرأ المفصل في ركعة، لأنها خلاف قراءة الترتيل التي نزل بها القرآن، ووصفها بالهذِّ–أي الهذرمة- كهذِّ الشعر، فعنه ﷺ، أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصَّل في ركعةٍ

---

[٣٣] القيرواني، أحمد بن أحمد الشقانصي. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. *عمدة القارئين والمقرئين*. دراسة وتحقيق: عبد الرزاق بسرور. بيروت: دار ابن حزم. ط١. ص٤٤٢.

[٣٤] للاستزادة عن كيفية صلاته ﷺ؛ ينظر كتاب: العبيد، إبراهيم بن علي. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة*. الرياض: مكتبة دار المنهاج. ١٤٢٨هـ. ط١.

[٣٥] ابن الجزري. النشر. ٢٠٦/١.

[٣٦] ينظر المرجع السابق نفسه.

[٣٧] لمراجعة المسألة ينظر: ابن الجزري. *النشر*. ٢٠٨/١. والسيوطي. *الإتقان*. ٦٧٧/٢.

واحدةٍ. فقال: "هذَّاً كهذِّ الشعر! إن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع".[٣٨] ويظهر من وصف عائشة رضي الله عنها لمرتبة الترتيل أنها تعيب كذلك القراءة السريعة، إذ تقول: " لو أراد السامع أن يعدَّ حروفه لعدَّها لا كسردكم هذا".[٣٩]

المطلب الثاني: ما يُعَدُّ من مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

١- من المهارة في حق الإمام: التخفيف على المصلين في مقدار القراءة. وهو ما يتناسب تمامًا مع القراءة بمرتبة الترتيل الموصوفة بالتريُّث والتأني والطمأنينة، والأدلة الشرعية الدالة على التخفيف وافرة؛ منها:

- وصية النبي ﷺ للأئمة بهذه المهارة. قال: "إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف, فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة, وإذا صلى وحده فليصل كيف يشاء".[٤٠] وعن عثمان بن العاص ﷺ قال: آخر ما عَهد إليَّ رسول الله ﷺ: "إذا أممت قوماً فأخفَّ بهم الصلاة".[٤١] –
- أمره ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ بالتخفيف على الناس عندما أطال على قومه وصلى بهم بالبقرة في صلاة العشاء، وذلك في الحديث المشهور: "يا معاذُ أفتَّانٌ أنتَ ؟- وكررها ﷺ ثلاثاً- اقرأ ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾،[٤٢] و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾[٤٣]".[٤٤]
- ذمُّه ﷺ الشديد لمن أطال على الناس. فعن أبي مسعود ﷺ أن رجلاً قال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان، مما يطيل بنا! فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشد غضباً منه يومئذ، ثم قال: " إن منكم منفِّرين، فأيكم صلى بالناس فاليتجوز، فإن فيهم الضعيف، والكبير، وذا الحاجة".[٤٥] وعن عباس الجُشَمّي قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من الأئمة طرَّادين".[٤٦]

---

[٣٨] صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن. باب: الترتيل في القراءة، ح(٥٠٤٣)، ص٩٠٣. وصحيح مسلم. كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به. باب: ترتيل القراءة واجتناب الهذ..، ح(١٩٠٨). ص٣٣١ .

[٣٩] ابن عاشور. التحرير والتنوير. ٢٦٠/٢٩.

[٤٠] صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام. ح(١٠٤٦). ص١٩٥.

[٤١] المصدر نفسه. ح(١٠٥١)، ص١٩٥.

[٤٢] سورة الشمس: ١.

[٤٣] سورة الأعلى: ١.

[٤٤] صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً. ح(٦١٠٧). ص١٠٦٥.

[٤٥] صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب: تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود. ح(٧٠٢). ص١١٥.

[٤٦] أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه. كتاب الصلاة. باب: التخفيف في الصلاة من كان يخففها. ح(٤٦٦١). ٤٠٥/١.

- فقه الإتِّباع عند الصحابة ﷺ، فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: " كان أبي إذا صلى في المسجد خفف الركوع والسجود وجوَّز، وإذا صلى في بيته أطال الركوع والسجود والصلاة، فقلت له، فقال: إنَّا أئمة يقتدى بنا".[٤٧]

أما ما ثبت من فعل النبي ﷺ بأنه كان ينوِّع في قراءته فيقرأ بالسورة الطويلة والمتوسطة والقصيرة؛ فقد كان بحسب المقام والحال، ولبيان جواز هذه الوجوه الثلاثة للإمام. [٤٨] يقول النووي:" فكان النبي ﷺ يعلم من حال المأمومين في وقت أنهم يؤثرون التطويل فيطول، وفي وقت لا يؤثرونه لعذر ونحوه فيخفف، وفي وقت يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي".[٤٩] والأدلة على ذلك عديدة، نذكر منها:

- قولهﷺ: "إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبّي فأتجوَّز، مما أعلم من شدَّة وجد أمِّه من بكائه".[٥٠]
- وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور[٥١].
- وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرقها في ركعتين.[٥٢]

وهذا كان حال الصحابة ﷺ في إمامتهم في الصلاة؛ يأتون بالحالات الثلاث المذكورة، اقتداء بنبيهم ﷺ ، إلا أن واقعهم غير واقعنا، ووقتهم غير وقتنا، وهممهم غير هممنا، والفارق بين عوامهم عوامنا كبير! والله المستعان، فإن كانت سنة التخفيف مؤكدة في زمانهم، وهم من هم، ففي زماننا أكثر تأكيدا.

٢- ومما يندرج تحت مهارة الترتيل؛ تطويل القراءة المرتلة في الركعة الأولى وقصرها في الركعة الثانية، وهو أمر نسبي يقدِّره الإمام بالنظر إلى حال المصلين، والزمان، والمكان. وهذا فعل النبي ﷺ سواء في الصلوات الجهرية أو السرية المفروضة. ودليله:

- عن أبي قتادة ﷺ قال: "كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين، يطوِّل في الأولى ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطوِّل في الأولى، وكان يطوِّل في الركعة الأولى من صلاة الصبح، ويقصر في الثانية".[٥٣]

---

[٤٧] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. كتاب الصلاة. باب: التخفيف في الصلاة من كان يخففها، ح(٤٦٦٥)، أبو بكر عبد الله بن محمد. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق: كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد: الرياض. ١٤٠٩هـ، ط١. ٤٠٦/١.

[٤٨] ينظر المسألة بتمامها في: العبيد. جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة. ص٢٣٢-٢٤٦.

[٤٩] المرجع السابق نفسه.

[٥٠] صحيح البخاري. كتاب: الأذان. باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي. ح(٧١٠). ص١١٦.

[٥١] صحيح البخاري. كتاب: التفسير. باب: سورة الطور. ح(٤٨٥٣). ص٨٥٩.

[٥٢] سنن النسائي. كتاب: الاستفتاح. باب: القراءة في المغرب بـ (آلمص). ح(٩٩٢). أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. *سنن النسائي الصغرى*. الرياض: دار السلام. ط١. ص١٣٨.

- وعن ابن سابط: " أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعة الأولى بسورة نحواً من ستين آية، فسمع بكاء الصبي؛ قال: فقرأ في الثانية بثلاث آيات".[٥٤]

٣- ومما يُعدُّ من مهارة الترتيل في قراءة الإمام؛ تكرار بعض المواضع من الآيات وترديدها بقدر معيَّن في صلاة النافلة فقط؛ لأن ما ورد عن النبي ﷺ في ترديد آية من القرآن كان في صلاة النافلة. فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام بآية يردّدها حتى أصبح ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٥٥].[٥٦] ولم يثبت عنه ﷺ فعل ذلك في صلاة الفريضة، وهو ما يقع فيه بعض الأئمة في وقتنا! وقد اهتدى سلفنا الصالح بهديه ﷺ في تكرار الآية الواحدة في صلاة النافلة، واستفاضت الأخبار عنهم، فمنها على سبيل المثال ما روي عن تميم الداري رضي الله عنه أنه قام بآية يردّدها ويبكي حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٥٧].

وجاء عن معمر مؤذن التيميِّ قال: صلَّى إلى جنبي سليمان التيميِّ بعد العشاء الآخرة، وسمعته يقرأ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾،[٥٨] قال: فلما أتى على هذ الآية: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[٥٩] جعل يردّدها حتى خفَّ المسجد وانصرفوا. قال: فخرجت وتركته، قال: وغدوت لأذان الفجر، فنظرت فإذا هو في مقامه، قال: فسمعت فإذا هو فيها لم يجُزها، وهو يقول: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[٦٠]

ووجه العلاقة بين عملية التكرار وترتيل الآية أو مقطع منها؛ أن التكرير يجمع القلب، ويساعد على استحضار النظر في دلالة الكلمة الموقوف عليها، والتفكر في معناها، فيغوص القارئ المتأمل في بحار المعاني وفيوض الحكم، فيحصل المراد من قشعريرة الجلد، وخشوع القلب. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٦١]

---

[٥٣] صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب: القراءة في الظهر. ح(٧٥٩).

[٥٤] مصنف ابن أبي شيبة. كتاب الصلاة. باب: من كان يخفف الصلاة لبكاء الصبي يسمعه. ح(٢٤٦٠). ٥٧/٢.

[٥٥] سورة المائدة: ١١٨.

[٥٦] سنن النسائي. كتاب الافتتاح. باب: ترديد الآية. ح(١٠١١). ص١٤٠.

[٥٧] سورة الجاثية: ٢١، ينظر: العبيد. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة*. ص٦٨٤.

[٥٨] سورة الملك: ١.

[٥٩] سورة الملك: ٢٧.

[٦٠] رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٥هـ. ط٤. ٢٩/٢.

[٦١] سورة الزمر: ٢٣.

٤- ومن مهارة القراءة في صلاة النافلة فقط سواء بمرتبة الترتيل أو الحدر؛ أن يتعايش الإمام مع خطاب القرآن الكريم ويحاكيه. وهو فعل النبي ﷺ. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، فلا يمرّ بآية فيها تخويف إلاَّ دعا الله عز وجل واستعاذه، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغِبَ إليه".[٦٢] وكذا روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلَّى مع النبي ﷺ مرّة وقد قام بسورة البقرة، وآل عمران ، والنساء. يقول: " يقرأ -أي النبي ﷺ - مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ..."[٦٣] وفي رواية: "إذا مرَّ بآية عذاب وقف وتعوَّذ، وإذا مرَّ بآية رحمة وقف فدعا".[٦٤]

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة ترتيل القرآن الكريم في الصلاة:

١- القراءة بمرتبة (الهذْرَمَة)، وهي الإسراع بالقراءة سرعة مخلَّة, ويقال لها: (الهذُّ)[٦٥]. وهذه المرتبة لم يذكرها أحد من العلماء بأنها تستعمل في الصلوات الجهرية, ولم تُعرف بين القرَّاء من مراتب القراءة المشهورة. وقد عابها ابن مسعود رضي الله عنه في خارج الصلاة؛ فكيف فِعلها في الصلاة؟ يقول: "لا تنثروه نثر الدقل-رديء التمر- ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة".[٦٦]

أقول: قد حضرت لبعض الأئمة في صلاة التراويح ممن يفعل هذا، فلم أعقل ما يقول إلا قليلاً من الحروف والكلمات، وربما أخطأ في قراءة الآية، ثم أعادها، ولا يستطيع أحدنا ردَّه لسرعته ألاَّ معقولة! وقد أخلَّ بالكثير من الأحكام التجويدية، وروعة القرآن وجماله، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فليحذر الإمام الإتيان بالهذرمة في إمامته.

٢- ولا تَعدُّ من مهارة الترتيل؛ القراءة بالتكلُّف في مخارج الحروف وصفاتها، ظنّاً من القارئ أنه يأتي القراءة بأفضل محاسنها وأكملها وأحكمها، وهذا لا شك أنه من التنطع وتلبس إبليس! فقد كانت قراءة النبي ﷺ هيِّنَة ليِّنَة. وقد وصف ﷺ قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بعدما سمعه، وهو قائم يقرأ في المسجد، بأنها رطبة هيِّنة، فقال: " من سرَّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"[٦٧] . يقول ابن القيِّم: " والمقصود أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو بالحرف، ومن تأمَّل هدى رسول الله صلى الله تعالى وآله وسلم، وإقراره أهل كل لسان على

---

[٦٢] مسند أحمد. ح(٢٤٦٠٩). باب: مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها. ابن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد. مسند أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ وآخرون. مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ. ط١. ٤١/١٥٥.

[٦٣] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين. باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. ح(١٨١٤). ص٣١٥.

[٦٤] سنن النسائي. كتاب الافتتاح. باب: القراءة في المغرب بقصار السور. ح(١٠٠٩). ص١٤٠.

[٦٥] الدوسري، إبراهيم بن سعيد. *التجريد لمعجم مصطلحات التجويد*. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع. ١٤٣٢هـ. ط١. ص١٠٩.

[٦٦] السيوطي. الاتقان. ٢/٦٧٦.

[٦٧] مسند أحمد. ح(١٧٥). باب: مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. ١/ ٣٠٩.

قراءتهم تبَّين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته ".[٦٨] وذكر أبو عمرو الداني أن ذلك (خارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة، وقد وردت الآثار عنهم بكراهة ذلك).[٦٩]

٣- وليس من المهارة أن يقرأ الإمام سورة الفاتحة أو غيرها بِنَفَسٍ واحد. فقد يظنها الإمام مهارة في نفسه؛ إلاَّ أنها لا تعين على تدبر الآيات والوقوف على فواصلها ومعانيها، كما أنها خلاف الأولى في قراءة النبي ﷺ المرتلة: آية آية، والمفسَّرة: حرفاً حرفاً. يقول الحسن البصري: "... حتى إن أحدهم ليقول: إنِّي لأقرأ السورة في نَفَسٍ واحدٍ، والله ما هؤلاء بالقرَّاء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراءة تقول مثل هذا! لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء".[٧٠]

٤- ليس من المهارة في صلاة الفريضة؛ أن يقرأ الإمام المد بقصر المنفصل، بمقدار حركتين كالمد الطبيعي، بل المهارة أن يقرأ بتوسط المد (٤-٥ حركات) لا سيما وهو يقرأ برواية حفص. [٧١] وحكمة ذلك: أن في هذه المدود المنفصلة-وغيرها من المدود - إعجاز صوتي وبلاغي عجيب في تصوير دلالة الآية وتشخيص معانيها، وهو من مقاصد القرآن الكريم. مثاله: في قصة نوح عليه السلام وغرق ابنه، إذ رفض الابن اللحاق بوالده وحاول اللجوء إلى الجبل متمسكاً بالأسباب المادية ظنَّاً منه أنه سينجيه من عذاب الله وعقابه. قال تعالى على لسان الابن: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[٧٢]. فكلمة ﴿ سَـَٔاوِىٓ ﴾ فيها حكم المد الجائز المنفصل وسببه الهمز، يمد من ٤-٥ حركات، أي يطيل القارئ صوته بهذا المقدار، وفي إطالة صوت القارئ؛ تصوير دقيق لحالة الابن وتعلقه الشديد بالأسباب المادية، وإيحاء واضح برفضه الإيمان بالله والاعتصام به. فعدم الإتيان بتوسط المد لا يصوِّر هذا المشهد الرائع، ولا يصف هذه النفسية المادية التي كانت تلازم هذا الابن. لذا لا يستقيم من يقرأ بمرتبة الترتيل ولا يأتي بتوسط المد الجائز أو إشباعه[٧٣] لأنه من لوازم الترتيل المؤدي إلى التدبر والاعتبار. والأمثلة على الإعجاز الصوتي في أحكام المدود وفيرة في كتاب الله تعالى.

---

[٦٨] ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف. ١٦٢/١.

[٦٩] آل عبد الكريم، أحمد بن عبد الله بن محمد. *البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم*. الرياض: مكتبة دار المنهاج. ١٤٣٢هـ. ص٣٤٣. عن المرشد الوجيز. ط١. ص٢١١.

[٧٠] البدر، بدر بن ناصر. ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م. *حال السلف مع القرآن*. الرياض: دار الحضارة. ط١. ص٥٣.

[٧١] قد يكون من المهارة قراءة الإمام بقصر المنفصل في صلاة التراويح لأجل السرعة والاختصار، وإتماما لمقدار القراءة المحدَّد في الركعة الواحدة. يستنبط هذا من الأثر الصحيح عن عمر بن لخطاب رضي الله عنه أنه دعا القرَّاء في رمضان يأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية، والوسط خمساً وعشرين آية، والبطيء عشرين آية. ينظر: العبيد. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة*. ص٧٠٦.

[٧٢] سورة هود: ٤٣.

[٧٣] اشباع المد (٦ حركات). وقد تباينت مذاهب القرَّاء في المنفصل إلى سبع مراتب. ينظر: زادة، يوسف أفندي، رسالة المدات، تحقيق: إبراهيم محمد الجرمي. عمان: دار عمار. ٢٠٠٠م. ط١. ص٣٠.

٥- ليحذر الإمام تطويل القراءة في الركعة الثانية عن الأولى؛ وهو خلاف هديه ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: " كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين، يطوِّل في الأولى، ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطوِّل في الأولى، وكان يطوِّل في الركعة الأولى من صلاة الصبح، ويقصر في الثانية"[٧٤] وحكمة فعل النبي ﷺ تتضح في رواية أبي داود عن أبي قتادة عن أبيه قال: " فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى".[٧٥] وذكر أبو شامة، وابن تيمية، والنووي، والسيوطي، والهيثمي، أن إطالة الركعة الثانية على الأولى مخالف للسنة والشريعة.[٧٦] ويستثنى من ذلك قراءة سورتين في الركعتين، فقد تكون السورة الثانية أطول من الأولى أو تماثلها، فقد قرأ عمر رضي الله عنه في الصبح بسورة (الكهف) وسورة (يوسف). فعن عبد الله بن شفيق قال: صليَّ بنا الأحنف بن قيس صلاة الصبح بعاقول[٧٧] الكوفة؛ فقرأ في الركعة الأولى: (الكهف)، والثانية: بسورة (يوسف)، وقال: "صلى بنا عمر رضي الله عنه صلاة الصبح فقرأ بهما فيهما"[٧٨]

المبحث الثاني:

المهارة الثانية: مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وبيان أصلها، وأهميتها.

أولاً: التعريف بمهارة الوقف والابتداء:

يعرَّف الوقف: بأنه قطع الصوت زمناً يتنفَّس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما ما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنية الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً، ولا بد من التنفس معه.[٧٩]

ويعرَّف الابتداء: بأنه استئناف القراءة بعد الوقف أو هو الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف).[٨٠]

[٧٤] صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب: القراءة في الظهر. ح(٧٢٥). ص١٢٣؛ وصحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب: القراءة في الظهر والعصر. ح(٤٥١). ص١٩٠.

[٧٥] سنن أبي داود. كتاب الصلاة. باب: القراءة في الظهر. ح(٨٠٠). سليمان بن الأشعث. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ. ص١٢٣.

[٧٦] آل عبد الكريم. البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم. ص١٠٧.

[٧٧] عواقيل الأدوية: دراقيعها في معاطفها، واحدها عاقول. يراجع: الهروي، محمد بن أحمد أبو منصور. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ٢٠٠١م. ط١.

[٧٨] أخرجه الطحاوي، في شرح معاني الآثار، كتاب: الصلاة، الوقت يصلى فيه الفجر أي وقت هو. أبو جعفر أحمد بن محمد. تحقيق: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق. راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي. عالم الكتب. ١٩٩٤م. ط١. ١/ ١٨٠.

[٧٩] ابن الجوزي. النشر. ١/ ٢٤٠.

[٨٠] المصدر السابق نفسه.

وينقسم الوقف عند أكثر القرَّاء -كما يقول الإمام الداني -إلى أربعة أقسام[٨١]: (تام مختار[٨٢]، وكاف جائز[٨٣]، وصالح مفهوم[٨٤]، وقبيح متروك[٨٥]).

ثانياً: أصل مهارة الوقف والابتداء:

- حديث أم سلمة رضي الله عنها حين سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته، يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٨٦] ثم يقف ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[٨٧] ثم يقف، وكان يقرأ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾.[٨٨] وفي رواية قالت: ((كان يقطع قراءته آية آية)).[٨٩]
- وعن علي رضي الله عنه قوله في تعريف الترتيل: ((الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف)).[٩٠]
- وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ((لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها، كما تعلمون أنتم القرآن. ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهما القرآن، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمتهما يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل-أي الرديء من التمر)).[٩١]

---

[٨١] ينظر: الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد. ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م. المكتفى في الوقف والابتداء. تحقيق: جمال الدين محمد شرف. طنطا: دار الصحابة للتراث. ص١٨. وتختلف أنواع الوقف ومسمياته عند بعض العلماء؛ ذكرها السيوطي في الاتقان. ٥٤٣/٢.

[٨٢] الوقف التام هو: الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده- لا لفظاً ولا معنى- ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي. المصدر السابق. ص١٩.

[٨٣] الوقف الكافي: هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعدَه، غيرَ أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ. وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾، سورة النساء: ٢٣. والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها. المصدر السابق. ص٢١.

[٨٤] وهو الوقف الحسن، وهو: الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً، وذلك نحو قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ المصدر السابق، ص٢٢.

[٨٥] الوقف القبيح: هو الذي لا يعرف المراد منه، وذلك نحو قوله: ((بسم)) و ((ملك)) و ((رب)) و ((رسل)) وشبهه والابتداء بقوله ((الله)) و ((يوم الدين)) و ((العالمين)). المصدر السابق. ص٢٥.

[٨٦] سورة الفاتحة: ٢.

[٨٧] سورة الفاتحة: ٣.

[٨٨] الترمذي، كتاب: فضائل القرآن. باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ. ح(٢٩٢٣)، ص٦٥٧. وح(٢٩٢٧) . ص٦٥٨.

[٨٩] سنن أبي داود. ح(٤٠٠١). ٦٥/٤.

[٩٠] الأشموني. *منار الهدى في بيان الوقف والابتداء*. ص٣٤.

[٩١] المستدرك للحاكم، كتاب: الإيمان. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٤١١هـ – ١٩٩٠م. *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. ٩١/١. يقول الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه. وعلق الذهبي في التلخيص بقوله: على شرطهما ولا علة له. المرجع السابق نفسه.

ثالثاً: أهمية مهارة الوقف والابتداء:

للوقف والابتداء أهميته لقارئ القرآن الكريم لا سيما ممن وُضِع في منصب المعلم والداعية كالأئمة والخطباء. وقد صرح جمع من العلماء على وجوب معرفة هذا العلم[٩٢]، استنباطاً من هذه الأدلة المذكورة آنفاً. قال الإمام الداني: ((قول ابن عمر –رضي الله عنهما– دليل على أن تعلم ذلك توقيف من رسول الله ﷺ، وإنه إجماع من الصحابة–رضوان الله عليهم)).[٩٣] وكذا ذكر الإمام ابن الجزري أن في كلام ابن عمر رضي الله عنهما برهاناً على أن تعلمه إجماع من الصحابة ﷺ، وقال: ((وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح)).[٩٤]

والوقف والابتداء كما وصفه الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ: (منازل القرآن)، فالقارئ كالمسافر، والمقاطع التي ينتهي إليها القارئ كالمنازل.[٩٥] ووصفه الإمام يوسف بن علي البسكري بأنه: (حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالِم، وبه يُعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين).[٩٦]

وقال ابن الأنباري: ((من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلاَّ بمعرفة الفواصل)).[٩٧]

فالمقصود من هذه المهارة في حق الإمام: أن يحسن مواضع الوقف والابتداء في قراءته، فيعرف أين يقف؟ ومتى يقف؟ وكيف يقف؟ وبمثله الابتداء، ليحقق بذلك القراءة التفسيرية والتصويرية المطلوبة في تحصيل التدبر وتحقيق التأمل للمأموم المستمع، فيرتقي به إلى معارج الخشوع والتأثر في أداء الصلاة.

فعلى الإمام أن يتقن هذا الفن–فهو باب واسع– ليصل إلى الملكة العلمية فيه، ولا يحصل له ذلك إلا بكثرة الممارسة، والتدريب على كل مقطع من الآيات المختارة أو السور في الصلوات الجهرية التي يؤم بها المصلين.

المطلب الثاني: ما يعُدُّ من مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن في الصلاة.

١– القراءة بالوقف النبوي، وهو الوقف على أواخر الآيات ورؤوسها عموماً، لا سيما في سورة الفاتحة وسور المفصل؛ إذ آياتها قصيرة. ويسمى كذلك بالوقف التام. ودليله وصف أم سلمة رضي الله عنها لقراءة النبي ﷺ المذكورة سابقاً.

[٩٢] ينظر: شرشال، أحمد بن أحمد. ١٤٢٠/١١هـ– ٢٠٠٠/٣م. *الوصل والوقف وأثرها في بيان معاني التنزيل*. مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد (٤٠). ص٢٣.

[٩٣] الداني. *المكتفى في الوقف والابتداء*. ص١٦.

[٩٤] ابن الجزري. النشر، ١/ ٢٢٥.

[٩٥] ينظر: شرشال. *الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل*. ص٢٣.

[٩٦] المرجع السابق نفسه.

[٩٧] الأشموني. *منار الهدى في الوقف والابتداء*. ص٣٤.

وكذا من الوقوف النبوية ما يوصف بوقف جبريل عليه السلام. وقد حدد مواضعه العلماء.[٩٨] قال الإمام السخاوي: ((ينبغي للقارئ أن يتعلم وقف جبريل –عليه السلام– فإنه كان يقف في سورة آل عمران عند قوله: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾[٩٩] ثم يبتدئ ﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ والنبي ﷺ يتبعه، ..... فكان النبي ﷺ يتعمد الوقف على تلك الوقوف وغالبها ليس رأس آية، وما ذلك إلاَّ لعلم لدنيّ عَلِمَه من علمه، وجهله من جهله، فاتباعه سُنَّة في جميع أقواله وأفعاله)).[١٠٠]

٢- ومن المهارة أن يلتزم الإمام بالوقوف اللازمة في القرآن الكريم،[١٠١] لأهميتها، وهي محدودة المواضع يمكن للإمام حفظها واستحضارها عند القراءة؛ وإن لم يُحِط بكامل معناها، وأسرار بلاغتها. وكذا من المهارة أن يتنبه الإمام إلى الوقوف الكافية والحسنة. وهي كثيرة في القرآن الكريم؛ تعتمد على فقه القارئ وعلمه بالتفسير واللغة والإعراب[١٠٢]. وقد وضع العلماء لهذه الوقوف علامات تدل عليها في المصحف الشريف.[١٠٣] وقد نسمي هذه الوقوف أحياناً بوقف بيان؛ وإن لم توجد على الكلمة علامات وقف، إذ يعتمد استخراجها على مهارة القارئ وفهمه للغة والإعراب والتفسير. ومثاله: الوقف على كلمة (اليهود) وهو وقف حسن، ثم البدء من أول الآية وحتى جملة (والَّذين أشركوا) في قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، فالوقف على كلمة (اليهود) فيه إبراز لمعنى يقصده القرآن الكريم وهو أن العداوة للذين آمنوا لها درجات أشدها وأخطرها هي عداوة اليهود لذا بدأ سبحانه وتعالى بذكرهم، ثم عطف عليهم الدرجة الثانية وهم المشركون.

---

[٩٨] تراجع المواضع في المرجع السابق، ص٤٠.

[٩٩] سورة آل عمران: ٩٥.

[١٠٠] المصدر السابق نفسه.

[١٠١] الوقف اللازم هو في الأصل الوقف التام، لكنه حدِّد بمواضع في القرآن الكريم لأهميته، ويرمز له بحرف (م) السطرية على الكلمة اللازم الوقوف عليها، ومواضعه في مصحف المدينة المنورة: (١٩) تسعة عشر موضعاً، ومصحف الأزهر: (٣٥) خمسة وثلاثين موضعاً. وتختلف المواضع من مصحف لآخر بحسب اجتهاد العلماء المحققين لهذا النوع من الوقف، فقد أوصلها أ. د. حمدي عبد الفتاح خليل إلى (٧٠) سبعين موضعاً في دراسة علمية له. ينظر كتابه: الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث؛ الجزيرة للنشر والتوزيع. ٢٠١٠م. ط١.

[١٠٢] وللشيخ القارئ إبراهيم الأخضر إمام المسجد النبوي سابقاً، ولغيره من العلماء وقفات حسنة على بعض المواضع القرآنية؛ رواها عنهم الشيخ أبو عبد الرحمن جمال القرش في كتابه: أضواء البيان في معرفة الوقف والابتداء. الاسكندرية: الدار العالمية. ٢٠٠٥م. ط١. ص١٣٩.

[١٠٣] وهي: (ج، صلى، قلى، التعانق). ينظر شرحها في مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثانية. وتختلف مصطلحات الوقف ورموزها بين العلماء، فعند الإمام السجاوندي (ت: ٥٦٠هـ) يستعمل: (لا) للوقف الممنوع، و(م) للازم، و(ط) للوقف المطلق، و (ج) للجائز، و(ز) للمجوز، و(ص) للمرخص للضرورة). ينظر: السجاوندي، محمد بن طيفور الغزنوي. مقدمة علل الوقوف في القرآن الكريم. تحقيق: د. أشرف أحمد حافظ عبد السميع. طنطا: دار الصحابة للتراث. ط١. ص٦٨.

٣-ومن مهارة الوقف والابتداء؛ أن يقف الإمام في قراءته على أحرف: (نعم، وبلى، وكلا)،[١٠٤] إذ فيها من إظهار المعنى وإبرازه ما يلفت انتباه المستمع ونظره، لا سيما لو اصطحب القارئ مع هذه الوقوف طبقة صوتٍ عالية.
من أمثلته: الوقف على (كلا) آية رقم: (١٧) من سورة الفجر، مع وصل ما قبلها من الآية: (١٦)، ثم البدء بكلا رأس الآية (١٧). قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾
فالوقف على (كلا) فيه زجر وردع لقول هذا الإنسان أن الله تعالى ضيَّق عليه في رزقه وأهانه! والعياذ بالله. فالوقف هنا من مهارة القارئ لإبراز هذا المعنى، وهو خلاف المألوف في قراءة هذه الآيات إذ يوقف على نهايتها (رؤوسها).

٤-ومن المهارة في قراءة الإمام؛ الوقوف على لفظ الجلالة (الله) بالتفخيم وبالمد العارض للسكون[١٠٥] لإظهار المعنى المقصود وبيانه وتفسيره، ومواضعه في القرآن الكريم كثيرة جداً؛[١٠٦] لا يحسن الوقف إلا على المعنى التام منها.
كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١٠٧].
وفي قوله تعالى في مسألة علم المحكم والمتشابه، إذ يحسن الوقف على لفظ الجلالة؛ بل ويلزم الوقف في بعض طبعات المصاحف[١٠٨]،وعلامته في المصحف حرف الميم السطرية (م). قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.[١٠٩]

[١٠٤](نعم) لها أربعة (٤) مواضع في القرآن الكريم، منها: واحدة حسنة فقط، وهي في الأعراف: آية ٤٤. و(بلى) وردت في اثنين وعشرين (٢٢) موضعاً، منها: تسعة (٩) مواضع حسنة، وثمانية (٨) مواضع الوصل فيها أرجح. و(كلا) وردت في ثلاث وثلاثين (٣٣) موضعاً، أحد عشر (١١) موضعاً منها يحسن الوقف عليه، وموضعين (٢) يحسن الوقف عليه ولا يجوز الابتداء به. ينظر للزيادة والتوضيح: صالح، عبد الكريم إبراهيم. ٢٠٠٦م. *الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم*. القاهرة: دار السلام. ط١. ص٢٨٥ وما بعدها.

[١٠٥] وهذا المد غير المد المعروف بمد التعظيم، وهو مد الصوت بحرف اللام في (لا إله إلا الله) وهو خاص بأصحاب قصر المنفصل من طريق طيبة النشر، يمد بمقدار أربع حركات. وسميّ بمد التعظيم أو مد المبالغة، مبالغة في نفي الألوهية عن سوى الله تعالى. يراجع: زادة، رسالة المدات، هامش ص٢٦ للمحقق.

[١٠٦]عددها قرابة (٢٧٠١) ألفين وسبع مئة وواحد موضع. ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. بيروت: دار الفكر. ط١. ص٤٠-٧٥.

[١٠٧]سورة البقرة: ١٣٧.

[١٠٨]كمصحف الشمرلي، طبعة شركة الشمرلي، القاهرة.

[١٠٩]سورة آل عمران: ٧.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة حسن الوقف والابتداء في ترتيل القرآن في الصلاة.

١- يحذر الإمام من الوقف القبيح،[١١٠]والوقف الأقبح. فأما الوقف القبيح فهو ما اشتد تعلقه بما قبله لفظاً ومعنى، نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾[١١١]فإنه يوهم وصفاً لا يليق بالباري سبحانه وتعالى. وكذا قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١١٢]يوهم إباحة ترك الصلاة بالكلية.[١١٣] أما الوقف الأقبح؛ فلا يخلو أن يكون الوقف والابتداء قبيحين، أو أن يكون الوقف حسناً والابتداء قبيحاً ، كأن يقف بين القول والمقول؛ نحو قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾[١١٤] ثم يبتدئ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[١١٥]، وشبه ذلك من كل ما يوهم خلاف ما يعتقده المسلم.[١١٦]

والأمثلة على الوقوف القبيحة كثيرة يستحدثها من ساء فَهمه، وعدمت معرفته لمعاني الآيات وتفسيرها وإعرابها. وقد وضع العلماء علامة (لا) على الكثير من المواضع في بعض طبعات المصاحف للدلالة على منع الوقف عليها.[١١٧].

٢- ولا تُعدُّ من مهارة الإمام وصل آية رحمة بآية عذاب أو العكس. لنهي النبي ﷺ عن ذلك. فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف اقرؤوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا تختموا ذكر عذاب برحمة"[١١٨] ومثاله: نحو قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾[١١٩] لا ينبغي أن يقول: (والظالمين)، لأنه منقطع مما قبله، منصوب بإضمار فعل؛ أي: ويضرب الظالمين.[١٢٠]

---

[١١٠]ويسمَّى بالوقف الناقص والوقف الممنوع. ينظر: الدوسري، التجريد. ص١١٨.

[١١١]سورة البقرة: ٢٦.

[١١٢]سورة النساء: ٤٣.

[١١٣]للزيادة ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص٤٩.

[١١٤]سورة المائدة: ٧٣.

[١١٥]سورة المائدة: ٧٣.

[١١٦]ينظر: الأشموني، منار الهدى، ص٥٠.

[١١٧] تراجع العديد من الأمثلة في: عبد الرحيم، إسماعيل صادق. ٢٠٠٩م. *الوقف الممنوع في القرآن الكريم*. القاهرة: دار البصائر. ط١. ١/ ٣٢٨. وتنظر المواضع في مصحف الشمرلي.

[١١٨] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠٠م. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. . ط١. ٤٦/١ .

[١١٩]سورة الإنسان: ٣١.

[١٢٠]السجاوندي. *مقدمة علل الوقوف*. ص١٤.

٣- وليس من المهارة تجاوز مواضع السكت[١٢١] عند حفص لمن يقرأ بروايته، لأن هذه السكتات من مقاصد القرآن الكريم في بيان بلاغة الآيات ومعانيها. فعلى الإمام معرفتها وحفظها، وهي ستة مواضع.[١٢٢] مثاله: في سورة يس، آية: (٥٢)، السكت على ألف ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾. والحكمة من هذا السكت؛ بيان أن قوله ﴿هَٰذَا ﴾ليس بصفة لـ ﴿ مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ ولكنه مبتدأ، ولبيان أيضاً أنه ليس من قول الكفار، بل إنه قول الملائكة مستأنف، وقيل هو من قول المؤمنين للكفار.[١٢٣]

٤- ولا يُعدُّ من المهارة في قراءة الإمام؛ الوقوف على أي موضع بسبب قطع النَّفَس، وهو ما يسمَّى بـ (الوقف الاضطراري)، ثم الابتداء بالموضع الذي يلي الموقوف عليه، دون النظر إلى معاني الآيات ودلالتها، فقد يقع القارئ في الوقف القبيح أو الأقبح دون أن يعلم، إذ همه ينصرف إلى نهاية السورة أو المقطع المختار في قراءة الركعة. وهذا يحدث تشويشاً عجيباً على المصلين، ويشغلهم عن الإنصات للآيات المتلوة، وعن التدبر فيها، فلينتبه الإمام.

٥- وليس من المهارة؛ أن يبدأ الإمام القراءة –بعد الفاتحة– ببعض مواضع بداية الأجزاء، أو أرباع الأحزاب[١٢٤] المرموز لها بنجمة (۞) مع بداية الآية، والمشار إليها على هامش الصفحة برقم الجزء والحزب أو نصفه أو أرباعه. وهو مما حذَّر منه بعض العلماء وكرهوه، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية. لأن مواضع عديدة منها مخلة بالمعنى لتعلقها بما قبلها لفظاً ومعناً أو لتعلقها بما بعدها.[١٢٥] يقول ابن تيمية: " إن هذه التجزئة المحدثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه،

[١٢١]السكت: هو قطع الصوت زمناً أقل من زمن الوقف بغير تنفس. الحفيان، أشهر المصطلحات. ص١٧٢. ومقداره حركتان عند حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.

[١٢٢]أربعة متفق عليها، واثنان مختلف فيها، أما المتفق عليها: ١-في سورة الكهف، السكت على ألف ﴿ عِوَجَاۜ ﴾ نهاية الآية (١) في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ ، ٢-سبق ذكره في المتن، ٣- السكت على حرف النون في سورة القيامة، آية (٢٧) في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾، ٤- في سورة المطففين، آية (١٤)، السكت على حرف اللام في قوله تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾. أما السكتتان المختلف فيها عند حفص، فهي: ١-السكت على نهاية الأنفال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ وبداية براءة ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾، إذ يجوز فيها القطع والسكت والوصل. ٢- في الحاقة، قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ ، يجوز فيها الإظهار والسكت والإدغام. ينظر: صالح، الوقف والابتداء، ص٢٢ وما بعدها.

[١٢٣]ينظر: المرجع السابق، ص٢٣.

[١٢٤]جزَّءَ جمع من العلماء القرآن إلى ثلاثين جزءاً، وستين حزباً، وكل حزب إلى أربعة أرباع، رمزوا لبداية كل ربع منها بنجمة سطرية، اعتمدوا في هذه التجزئة على عدِّ حروف القرآن. وهذا خلاف تحزيب النبي ﷺ والصحابة ﷺ . ينظر: بحث شرشال. الوصل والوقف. ص٤٦. وما بعدها.

[١٢٥]ينظر: المرجع السابق نفسه.

فيبتدئ القارئ به في اليوم الثاني، كقوله: ﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ ﴾[١٢٦] في سورة النساء، ومثل ذلك كثير، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض، وعلى بعض المعنى دون بعض، كقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ﴾[١٢٧] في سورة الأعراف، ... وإذا كان كذلك فمعلوم أن هذا التحزيب والتجزئة، فيه مخالفة للسنة". [١٢٨]

المبحث الثالث:

المهارة الثالثة: مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وبيان أصلها، وأهميتها.

أولاً: التعريف بمهارة التغني:

التغني في اللغة: يأتي بمعنى: الاستغناء، وبمعنى التطريب" .[١٢٩] فالتغني: الصوت إذا علا وحسن، وطرب وترنم.[١٣٠] و(غنَّى): طرب وترنم بالْكَلَام الْمَوْزُون وَغَيره.[١٣١] وكل من رفع صوته ووالاه؛ فصوته عند العرب غناء.[١٣٢] وهو المقصود بالأحاديث التي ورد فيها مصطلح (التغني) عموماً؛ ومنه حديث أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **" ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر به"**[١٣٣]. يقول الحافظ ابن كثير: "ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍ يجهر بقراءته ويتغنَّى بها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت، لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك".[١٣٤]

أقول: وقد عُرف عن نبي الله داوود عليه السلام حسن الصوت، وجمال النغم في ذكر الله تعالى والترنم به؛ حتى إن الجبال والطير كنَّ يسبِّحن معه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾[١٣٥]، وقد أطلق النبي ﷺ على صوته عليه السلام: (مزامير آل داوود).[١٣٦]

---

[١٢٦] وهي الآية رقم: (٢٤)؛ من بداية الجزء الخامس، متعلقة بما قبلها في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ﴾

[١٢٧] وهي الآية رقم: (٨٨)؛ من بداية الجزء التاسع، وجاءت في منتصف قصة شعيب عليه السلام في السورة.

[١٢٨] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. ١٤١٦هـ. *مجموع الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. ط١. ٤١٠/١٣.

[١٢٩] الزَّبيدي، محمّد بن محمّد أبو الفيض، *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية، مادة: (غني)، ١٨٩/٣٩.

[١٣٠] ابن منظور. *لسان العرب*. مادة: (غنا)، ٦٨٩/٦. وينظر: الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة (غني)، ١١٤٢/٣.

[١٣١] مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ٦٦٥/٢.

[١٣٢] ابن منظور. لسان العرب. ٦٨٩/٦.

[١٣٣] متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن. باب: من لم يتغنى بالقرآن. ح(٥٠٢٣). ص٩٠٠؛ وح(٧٥٤٤). ص١٣٠٢. وصحيح مسلم. كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به. باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن. ح(١٨٤٧). ص٣٢٠.

[١٣٤] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ١٤٢٠هـ. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢. ٥٩/١.

[١٣٥] سورة سبأ: ١٠.

[١٣٦] سيأتي تخريجه بعد قليل في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

ثانياً: أصل مهارة التغنّي:

- حديث أبي هريرة ﷺ السالف الذكر. " **ما أذن الله لشيء...**"
- وعنه ﷺ كذلك، أن النبي ﷺ قال: " **ليس منَّا من لم يتَغَنَّ بالقرآن**" [١٣٧]
- وحديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ " **زيِّنوا القرآن بأصواتكم**"[١٣٨]

ثالثاً: أهمية مهارة التغنيِّ:

إذ حثَّ النبي ﷺ على طلب التغني في قراءة القرآن الكريم -عموماً- أفلا يكون في حق إمام المصلين أولى وأخص! ذلك أن التغني يورث في القلب التعظيم لكلام الله تعالى، ويحسنه ويزينه، فيأخذ بمجامع القلوب ويشدُّها إلى مدارج التدبر في مفردات الآيات المتلوة، والتفكر في معانيها، والوقوف على بيانها وبلاغتها....، مما يؤثر في نفس المتلقي والمستمع (المأموم) هذا من جانب، ومن جانب آخر ليعلو كلام الله تعالى بالتغني على غيره من حداء الأشعار، وكلام الناس ونثرهم. (قال ابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ): كانت العرب تتغنى بالركبانيِّ-نشيد بالمد والتمطيط- إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحبَّ النبي ﷺ أن يكون هجِّيراهم- عادتهم- بالقرآن مكان التغني بالركبانيِّ). [١٣٩] لذا سُرَّ النبي ﷺ عندما سمع قراءة سالم مولى أبي حذيفة. فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: أستمع قراءة رجل في المسجد لم أسمع قراءة أحسن من قراءته، فقام النبي ﷺ فاستمع قراءتَه، ثم قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» [١٤٠] كما سُرَّ ﷺ بقراءة

---

[١٣٧] أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ فَوَلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ﴾ [الملك: ١٣]، ح(٧٥٢٧)، ص١٢٩٩. عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال البخاري: وزاد غيره: (يجهر به). المصدر نفسه. وقد اختلف العلماء في معنى (يتغنى بالقرآن) على قولين: الاستغناء به عن غيره. ويحسن قراءته ويترنم بالقرآن ويرفع صوته به. للزيادة في المسألة؛ ينظر: ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله. المغني. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ د. عبد الفتاح محمد الحلو. الرياض: دار عالم الكتب. ١٤٢٦هـ. ط٥. ٦١٤/٢؛ والقرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد. التذكار في أفضل الأذكار. حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط. الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ١٣٩٩هـ. ط٢. ص١٥٠؛ والقارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح. سنن القراء ومناهج المجودين. المدينة المنورة: مكتبة الدار. ١٤١٤هـ. ط١. ص٨٠.

[١٣٨] سنن أبي داود ،كتاب الصلاة، باب: كيف يستحب الترتيل في الصلاة، ح(١٤٦٨)، ص٢١٨. وأخرجه النسائي ،كتاب: الافتتاح، باب: تزيين القرآن بالصوت. ح(١٠١٦-١٠١٧). وأخرجه ابن ماجة. كتاب: إقامة الصلوات، باب: في حسن الصوت بالقرآن، ح(١٣٤٢)، أبي عبد الله محمد بن يزيد. ١٤٢٠هـ. *سنن ابن ماجة*. الرياض: دار السلام، الرياض. ط١. ص١٩٠. وفي رواية " زينوا أصواتكم بالقرآن" أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: قراءة القرآن، ح(٧٤٩)، محمد بن حبان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م. *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط١. ٢٦/٣.

[١٣٩] ابن منظور. *لسان العرب*. ٦٨٩/٦.

[١٤٠] سنن ابن ماجة. كتاب: إقامة الصلوات. باب: في حسن الصوت بالقرآن. ح(١٣٣٨)، ص١٨٩.

أبي موسى الأشعري ﷺ وصوته، إذ وصفه بأنه مزمار من مزامير آل داود، وذلك في الحديث المشهور: "إني مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود".[١٤١]

لقد كان النبي ﷺ جميل الصوت في قراءة القرآن الكريم. يقول البراء بن عازب ﷺ: "سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾[١٤٢] في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتا منه أو قراءةً "[١٤٣]

فمهارة تغني القرآن والترنم به من أهم أبواب الدعوة إلى حب القرآن الكريم والترغيب إلى الاستماع إليه وقراءته، وهي من أكثر المهارات جاذبية للمصلي في حضور الصلوات والتصبر على طولها؛ لا سيما في حال التراويح مثلاً، أما تشاهد ازدحام بعض المساجد واكتظاظها بالمصلين بسبب ما يملك الإمام من حسن الصوت والتغني في القراءة. فكم من عاصٍ اهتدى بسبب سماع القرآن الكريم. وكم من عوام الناس من استبدل سماع الغناء الماجن بسماع أشهر القرّاء وأحسنهم صوتاً وأداءً، والواقع يصادق على ما نقول.

المطلب الثاني: ما يعُدُّ من مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

١- تحبير القراءة المنضبطة بقواعد الأداء (التجويد). والتحبير هو التزيين والتحسين[١٤٤]، وهو درجة أعلى من التغني، وهو شدة جمال الصوت والمبالغة في التنغيم والترنم، لقول أَبِي مُوسَى الأشعري للنبي ﷺ -بعدما وصف النبي ﷺ قراءته الطبْعية الخِلقية؛ بالمزمار-: " لو علمت مكانك لحبَّرت لك تحبيراً "[١٤٥]. ودلالة ذلك أن يُظهر الإمام أفضل ما عنده من حسن الصوت وجماله، ولا يزهد في ذلك، أو يُلبِّس عليه الشيطان أنه مدخل للرياء أو السمعة وما إلى ذلك! وليعلم الإمام أنه في موضع دعوة إلى الله تعالى وقدوة. يقول الإمام الآجري رحمه الله: " ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصَّه بخير عظيم، فليعرف قدر ما خصَّه الله به، وليقرأ لله لا للمخلوقين....، وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله عز وجل في السر والعلانية، وكان مراده أن يُستمع من القرآن لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم، فيرغبون فيما رغبهم الله عز وجل، وينتهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته، وانتفع به الناس"[١٤٦]

[١٤١] متفق عليه: صحيح البخاري. كتاب: فضائل القرآن. باب: حسن الصوت بالقراءة بالقرآن. ح(٥٠٤٨)، ص٩٠٢؛ وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، ح(١٨٥٢). ص٣٢١.

[١٤٢] سورة التين: ١.

[١٤٣] صحيح البخاري. كتاب: التوحيد. باب: قول النبي ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. ح(٧٥٤٦)، ص١٣٠٢.

[١٤٤] ينظر: القرطبي. التذكار في أفضل الأذكار. ص١٥٠.

[١٤٥] أخرجه ابن حبان. ح(٧١٩٧). ١٧٠/١٦.

[١٤٦] البدر، حال السلف مع القرآن. ص١٧٠.

٢- ومن المهارة في قراءة التغني: ارتفاع صوت الإمام وانخفاضه أحياناً بحسب معاني الآيات الداعية لذلك، بغية تبليغ المقاصد القرآنية للمستمع. وهذه المهارة تفتقر إلى فقه الإمام وتدبره لمعاني الآيات وتفسيرها، ولا يقدر عليها إلا متمرّس في القراءة، مُكثرٌ من التلاوة، ماهر بها. وهي سنة متَّبعة. دليلها: حديث جبير بن مطعم ﷺ —وكان مشركاً آنذاك- قال: " أتيت النبي ﷺ، لأكلمَهُ في أُسارى بدر، فوافقتُهُ، وهو يصلي بأصحابه المغرب، أو العشاء، فسمعته، وهو يقول أو يقرأ، وقد **خرج صوته** من المسجد ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾[١٤٧] ، فكأنما صُدِعَ عن قلبي " [١٤٨] . وبهذه المهارة عمل عمر بن الخطاب ﷺ. وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب ﷺ بمكة صلاة الفجر، فقرأ في الركعة الأولى بيوسف، حتى بلغ: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾[١٤٩] ثم ركع، ثم قام فقرأ في الركعة الثانية بالنجم فسجد، ثم قام فقرأ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴾ [١٥٠] **ورفع صوته** بالقراءة حتى لو كان في الوادي أحد لأسمعه".[١٥١] ومن المهارة في رفع الصوت وانخفاضه إذا مرَّ الإمام بآية حكي فيها الكفر؛ يستحب له أن يخفي صوته بها، ولا يجهر تأدباً مع الله تعالى، (كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾[١٥٢] وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾[١٥٣] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾[١٥٤] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ [١٥٥] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾[١٥٦] وغير ذلك من الآيات. أو مدَّ في قراءته بآية يؤدي ظاهرها إلى نقص في حق البارئ، جل وعلا، أو في حق معصوم، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [١٥٧] وقوله: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [١٥٨] ونحوهما).[١٥٩]

---

[١٤٧] سورة الطور: ٧-٨.

[١٤٨] أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. (ط٢)، مكتبة ابن تيمية. القاهرة. ح(١٥٠٢)، ١١٧/٢.

[١٤٩] سورة يوسف: ٨٤.

[١٥٠] سورة الزلزلة: ١.

[١٥١] أخرجه الطحاوي في شرح معاني الاثار، ح(١٠٨٣)، كتاب: الصلاة، باب: الوقت الذي يصلي فيه الفجر أي وقت هو؟، ١٨١/١.

[١٥٢] سورة آل عمران: ١٨١.

[١٥٣] سورة المائدة: ١٧، ٧٢.

[١٥٤] سورة المائدة: ٧٣.

[١٥٥] سورة المائدة: ٦٤.

[١٥٦] سورة التوبة: ٣٠.

[١٥٧] سورة ص:٧٥، وتمام الآية: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾

[١٥٨] سورة طه: ١٢١.

[١٥٩] ينظر: القيرواني. عمدة القارئين والمقرئين. ص٤٢٩.

٣- ومما يُعدُّ من مهارة التغني؛ أن يقرأ الإمام بصوت صفته الحزَن. يؤيد هذا بعض الأدلة؛ منها: قوله ﷺ: "اقرؤوا القرآن بالحزَن، فإنه نزل بالحزَن" [١٦٠]. وقوله ﷺ: " إن هذا القرآن نزل بحَزَن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به. فمن لم يتغن به، فليس منَّا". [١٦١]، والحديثان على ما فيهما من ضعف من ناحية السند إلاَّ أنه روي عن أبي هريرة ﷺ: أنه قرأ سورة فحزَّنَهَا شِبهَ الرَّثْي.[١٦٢] وقد استفاضت أقوال العلماء في وصف التغني بالحزَن والتشويق. ونقل ابن حجر عن الليث بن سعد قوله: يتغنى به: يتحزَّن به ويرقق به قلبه.[١٦٣] وروى الإمام القرطبي عن جماعة من العلماء معنى: (يتغنى بالقرآن): تحزن به، أي: يظهر على قارئه الحزَن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته.[١٦٤] وقال أبو عبيد: "ومجمل الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت، إنما هو على طريق الحزن والتخويف والتشويق".[١٦٥] وقال الإمام أحمد في حديث (يتغنى بالقرآن): "حزَّنهُ، فيقرؤه بحُزنٍ مثل صوت أبي موسى".[١٦٦] وقال الشافعي: "إنما هو يتحزَّن ويترنم به"[١٦٧] وجاء في شرح النووي قوله: " فقد أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق".[١٦٨] وحكمة ذلك؛ أن طريقة القراءة بحزن من أقوى المؤثرات الصوتية الربانية الداعية إلى خشوع القلب، ورقة الفؤاد، ولين الجانب لله تعالى، إذ يتفاعل القارئ بها فيظهر عليه أثرها ويغلبه البكاء، لقوله ﷺ: " إن من أحسن الناس صوتاً من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله تعالى" [١٦٩]. فعلى خشوع الإمام وتباكيه يخشع المصلون، فإن ما يخرج من القلب يقع في القلب ويؤثِّر فيه. فعن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر ﷺ وأنا في أواخر الصفوف من صلاة الصبح، وهو يقرأ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [١٧٠]. وننبه: بأن قراءة الحزن أو التحزين الحسن تختلف عن قراءة التحزين المحظورة؛ وهي –كما وصفها الإمام السخاوي– " أن يترك طباعه وعادته في التلاوة، ويأتي بها على وجه آخر كأنه حزين، يكاد يبكي، وهذه القراءة

---

[١٦٠] معجم أبي يعلى، أحمد بن علي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، (ط١، ١٤٠٧هـ، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد)، ح(١١٣)، ١/١١٣. والحديث ضعفه غير واحد؛ منهم الشيخ الألباني، محمد ناصر الدين. ١٤١٢هـ. *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة*.الرياض: دار المعارف. ط١. ١/٣٣.

[١٦١] أخرجه ابن ماجه. كتاب في إقامة الصلاة. باب: في حسن الصوت بالقرآن. ح(١٣٣٧)، ص١٨٩. والحديث ضعيف. ينظر: الألباني. *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*. ١٤/٢٨.

[١٦٢] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: رواه ابن أبي داود بإسناد حسن. ٩/٧٠.

[١٦٣] المصدر السابق نفسه.

[١٦٤] ينظر: القرطبي. *التذكار في أفضل الأذكار*. ص١٥٢.

[١٦٥] المصدر السابق. ص١٥٣.

[١٦٦] ابن قدامة. المغني. ٢/٦١٤.

[١٦٧] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ١٤١٦هـ. *فضائل القرآن*. مكتبة ابن تيمية. ط١. ص١٨٣.

[١٦٨] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. ١٣٩٢هـ. *المنهاج شرح صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط٢. ٦/٨٠.

[١٦٩] أخرجه ابن ماجه، كتاب: في إقامة الصلاة. باب: في حسن الصوت بالقرآن. ح(١٣٣٩). ص١٨٩

[١٧٠] سورة يوسف: ٨٦. أخرجه عبد الرزاق في المصنف. كتاب: الصلاة. باب: القراءة في صلاة الصبح. ح(٢٧١٦). أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (٢)، المجلس العلمي– الهند؛ المكتب الإسلامي، بيروت. ١٤٠٣هـ. ٢/١١٤.

مدخلا للرياء". [١٧١] ومعناه أنه يتكلف في البكاء ويصطنعه عمداً ليؤثر في المصلين. وقد سمعنا من يفعل هذا في عصرنا من بعض القرَّاء المشهورين –هداهم الله تعالى– ولهم مواقع الكترونية على الشبكة العالمية (الإنترنت).

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة التغني في ترتيل القرآن الكريم في الصلاة.

١- ليس من المهارة أن يقرأ الإمام بالألحان الغنائية (المقامات الموسيقية) [١٧٢] أو بأحدها، وهو يحاكيها ويلتزم بقواعدها، مخلاً بقواعد التجويد وأحكامه، وذلك لأن التغني في القراءة ليس مقصوداً بذاته، وإنما هو تبع للقراءة الصحيحة؛ بغية تدبر القرآن الكريم وتعظيمه وإجلاله. وقد حذَّرنا النبي ﷺ من هذا المسلك وكرهه، فقال: " والرجل يقرأ القرآن مزامير يغني به القوم، والقوم يقدِّمون الرجل ليس بخيرهم ولا بأفقههم، يغنيهم بالقرآن". [١٧٣]. إلاَّ إذا وافقت –إحدى هذه المقامات– طبيعة صوت القارئ وخِلقته، دون تكلُّف، وتكون منضبطة بصحيح القراءة وأحكامها التجويدية، فهذا هو المقصود بقراءة القرآن بلحون العرب وأصواتها[١٧٤]، ودليله حديث حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين، وسيجئ بعدي أقوام يرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم"[١٧٥]

وعلَّة المنع عند العلماء في مسألة القراءة بالألحان– عموماً – خروجها عن كونها قرآناً، إلى كونها كالغناء، (وذلك بإدخال حركات فيها، أو إخراج حركات منها، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخفى به اللفظ ويلتبس به المعنى، فهذا يحرمُ، ويفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه أي: القارئ عدل به عن منهجه

---

[١٧١] ينظر كتابه: *جمال القراء وكمال الإقراء*. علي بن محمد علم الدين. تحقيق: د. مروان العطيَّة؛ د. محسن خرابة. دمشق: دار المأمون للتراث. ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م. ط١. ٥٢٨/٢.

[١٧٢] مسألة قراءة القرآن الكريم بالمقامات الموسيقية من المسائل المشتهرة في العصر الحديث التي كثرت فيها الأقوال والاجتهادات. للزيادة ينظر بعض المراجع في المسألة:

- كتاب: أبو شادي، أبي عبد الله سيد بن مختار. ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م. حكم *قراءة القرآن بالمقامات الموسيقية والألحان*. القاهرة: معهد الرحمة العاملي الأزهري للقرآن الكريم. ط١.
- كتاب: آل عبد الكريم. *البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم*. مرجع سابق.
- رسالة ماجستير: الشريف، معروف محمد رشاد. ٢٠٠٣م. *التغني بالقرآن وعلاقته بالأنغام*. الأردن: كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت.

[١٧٣] ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو. ١٤١١هـ. *الآحاد والمثاني*. تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. الرياض: دار الراية. ط١. ٢/ ٢٦٨.

[١٧٤] ينظر: القيرواني. *عمدة القارئين والمقرئين*. ص٤٥٤.

[١٧٥] أخرجه الطبراني في الأوسط. ح(٧٢١٩). سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم. القاهرة: دار الحرمين. وابن الجوزي في العلل المتناهية. ح(١٦٠) وقال: هذا حديث لا يصح. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. ١٤٠١هـ/١٩٨١م. *العلل المتناهية في الأحاديث الواهية*. تحقيق: إرشاد الحق الأثري، (٢)، باكستان: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد. ١١١/١. أقول: وإن صح فهو يحمل على ما تم بيانه.

القويم إلى الاعوجاج. قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[١٧٦]).[١٧٧] يقول الإمام ابن قدامة: " فقد ثبت أن تحسين الصَّوت بالقرآن، وتطريبَهُ، مستحبٌّ غير مكروه، ما لم يخرج ذلك إلى تغيير لفظه، وزيادة حروفه"[١٧٨]

وننبه هنا؛ أن بعض الأئمة يَظنّ أن من المهارة؛ القراءة بـ(المقام الحجازي) وهي المقصودة بقوله ﷺ: " اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها".[١٧٩] فيظن بذلك أنه قد وافق السنة، واكتسب الأجر! وهذا خطأ في الفَهم؛ المقصود بالحديث؛ القراءة بالطبع والأصوات السليقية التي جُبِلَ العرب عليها من دون زيادة أو نقصان. كما هو المشهور في أقوال العلماء.[١٨٠] كما أن لحون العرب هذه متنوعة النغم، مختلفة المستويات، قد توافق أحد المقامات الموسيقية وقد تخالفها. فعلى الإمام القارئ أن لا يتصنَّع صوتاً أو مقاماً بعينه، فقد ينصرف همّه إلى تحقيق رغبة المصلين وأمزجتهم لا إلى التدبر في الآيات والخشوع فيها، فما كان طبعاً في الشخص يكون أوقع في النفس.

٢- وليس من المهارة؛ أن يلجأ الإمام في قراءته إلى جملة من أنواع التغني المتكلَّف والمحظور؛ التي عدَّها العلماء من البدع المحدثة في القراءة،[١٨١] (كقراءة الترقيص: وهي أن يطلب القارئ السكت على الساكن ثم ينفر مع الحركة، كأنه في عدو وهرولة. وكقراءة الترعيد: وهي أن يرعد صوته –بانتفاضه– كالذي يرعد من برد أو ألم، وقد تخلط بشيء من ألحان الغناء. وكقراءة التطريب: وهي أن يترنم القارئ بالقرآن ويتنغم به، فيمد في غير موضع المد، ويزيد فيه على ما ينبغي من أجل التطريب، فيأتي بما لا تجيزه العربية، وهذا الضرب من القراءة كثير في القرَّاء).[١٨٢]

ومن الأخطاء الشائعة عند أئمة المساجد: كثرة اللحن الخفي في القراءة بسبب تقليد أصوات بعض المشاهير من القرَّاء وأئمة المساجد ممن يحسن الأداء أو لا يحسنه بغية محاكاة نغمهم وترنمهم بالقرآن، إذ يظنُّ الإمام المقلِّد أنه بذلك قد امتلك مهارة صوتية، وشهرة عند الناس! وقد شاهدنا الكثير من هؤلاء الأئمة ممن يحاكي غيره ويقلده، فيقع في الأخطاء نفسها التي يقع فيها القارئ المقلَّد (الأصل)، فإذا مدَّ القارئ الأصل مدَّاً زائداً عن حركتين للمد الطبيعي في الألفات، كما في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) فيمد (الل اااااااه) في حال الوصل، ومدَّ (العاااااااالمين) بمثلها. فإذا بالإمام المقلِّد يقع بالخطأ نفسه، وقس على ذلك، ومن يستمع إلى

---

[١٧٦] سورة الزمر: ٢٨.

[١٧٧] ينظر: القيرواني. *عمدة القارئين والمقرئين*. ص٤٥٥. (بتصرف).

[١٧٨] ابن قدامة. *المغني*. ٢/٦١٥.

[١٧٩] سبق تخريجه.

[١٨٠] ينظر: آل عبد الكريم. *البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم*. ص٣٤٠.

[١٨١] ينظر للزيادة: أبو زيد، بكر بن عبد الله. ١٤١٦هـ *بدع القراء القديمة والمعاصرة*. الرياض: دار الصميعي.. ط٢. ص٩ وما بعدها.

[١٨٢] السخاوي. *جمال القراء*. ٢/٥٢٨.

مجموعة من القرَّاء في الأشرطة الصوتية الممغنطة وغيرها، وفي مواقع الانترنت في مسألة اللحن في المدود الطبيعية يشاهد العجب العجاب! أما من يحسن المحاكاة والأداء دون لحن أو خطأ –وهم نوادر– لتحسين صوته فيكون له أثره في الناس فهو مأجور لأنه في موضع قدوة ودعوة.[١٨٣]

المبحث الرابع:

المهارة الرابعة: مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

المطلب الأول: التعريف بالمهارة، وأصلها، وأهميتها.

أولاً: التعريف بمهارة المناسبة:

تعتمد هذه المهارة على علم من أجلّ علوم القرآن الكريم؛ يسمَّى: علم المناسبات بين الآيات، أو مناسبة آي القرآن وسوره.

والمناسبة لغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي: يقرب منه ويشاكله. ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه...، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.[١٨٤]

والمناسبة اصطلاحاً: الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها.[١٨٥]

وعن أهمية هذا العلم يقول الإمام الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[١٨٦] ويقول الإمام البقاعي: " وهو سر البلاغة ...، وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللّب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب...".[١٨٧]

---

[١٨٣] ولعل أشهر مثال نستحضره: صوت التغني الذي يقرأ به إمام المسجد الحرام؛ فضيلة الشيخ ماهر المعيقلي؛ الذي كتب الله لصوته القَبول في الأرض، وانتشر في العالم أجمع، وكان له أثره في الخواص والعوام– وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو صوت مأخوذ عن شيخه –بتصرف– فضيلة الشيخ: محمد عبد الكريم، من أهل السودان، صاحب الصوت الشجي، والنغم الحزين، وهو من القرَّاء المشاهير المعروفين.

[١٨٤] الزركشي، بدر الدين. ٢٠٠٣م. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل. الرياض: دار عالم الكتاب. ٣٥/١.

[١٨٥] مسلم، مصطفى. *مباحث في التفسير الموضوعي*. دمشق: دار القلم؛ بيروت: الدار الشامية. ٢٠٠٧م. ط٥. ص٥٨.

[١٨٦] الرازي. مفاتيح الغيب. ١١٠/١٠.

[١٨٧] البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. ١١/١ وللاستزادة عن هذا العلم؛ ينظر: ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم. ١٤٣١هـ. *البرهان في تناسب سور القرآن*. تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاَّح. الدمام: دار ابن الجوزي. ط٢. وعتر، نور الدين. *علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه*. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية. ٢٠١١م. ط١.

ثانياً: أصل مهارة مراعاة المناسبة:

- حديث ابن مسعود ﷺ، أنه جاءه رجل من بني بجيلة، يقال له نَهيك بن سنان، فقال: إني أقرأ المفصل الليلة في ركعة، فقال عبد الله: هذًّا كهذِّ الشعر؟ لقد علمت النظائر[١٨٨] التي كان النبي ﷺ يقرأ بهن، سورتين في ركعة.[١٨٩] وفي لفظ: (يقرن بينهنّ)، وبلفظ آخر: (إنا لقد سمعنا القرائن، وإني لأحفظ القرائن التي كان يقرؤهنَّ رسول الله ﷺ)[١٩٠]. وعند أبي داود تعيين هذه السور؛ وهي: " (النجم والرحمن) في ركعة، (واقتربت والحاقة) في ركعة، (والطور والذاريات) في ركعة، (وإذا وقعت ونون) في ركعة، (وسأل سائل والنازعات) في ركعة، (وويل للمطففين وعبس) في ركعة، (والمدثر والمزمل) في ركعة، (وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة) في ركعة، (وعم يتساءلون والمرسلات) في ركعة، (والدخان وإذا الشمس كورت) في ركعة. قال أبو داود: "هذا تأليف ابن مسعود رحمه الله"[١٩١] . ووجه الدلالة في الحديث؛ أن النبي ﷺ كان يقرن بين كل سورتين لوجود مناسبة بينهما وعلاقة وترابط.

- حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة بـ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ ﴾، و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ﴾، ويقرأ في العشاء الآخرة ليلة الجمعة: (الجمعة، والمنافقين).[١٩٢] ووجه الدلالة في الحديث ظاهرة؛ فموضوع سورتي: (الكافرون والإخلاص) واحد؛ وهو: توحيد الله تعالى والبراءة من الشرك. وسورتي: (الجمعة والمنافقين)؛ بيَّن حكمة الجمع بينهما أبو هريرة ﷺ إذ قال: " كان رسول الله ﷺ مما يقرأ في صلاة الجمعة؛ بـ(الجمعة) فيحرض به المؤمنين، وفي الثانية: بسورة (المنافقين)؛ فيفزع به المنافقين".[١٩٣] ووجه المناسبة بين السورتين –وهما متتابعتان بترتيب المصحف–كما ذكرها ابن الزبير: " ...ومن المطرد المعلوم أن اتعاظ الإنسان بأقرب الناس إليه وبأهل زمانه أغلب من اتعاظه بمن بعُدَ عنه زماناً أو نسباً، فأتبعت سورة (الجمعة) بسورة (المنافقين) وعظاً للمؤمنين بحال أهل النفاق،... وكأن قد قيل لهم: ليس حال من أظهر الانقياد والاستجابة من بني إسرائيل، ثم كان فيما حمِّل كمثل الحمار يحمل أسفاراً بأعجب من حال إخوانكم زماناً وقرابة، وأنتم أعرف الناس بهم، وأنهم قد كانوا في الجاهلية موصوفين بجودة الرأي وحسن النظر..."[١٩٤]

---

[١٨٨] قال ابن حجر في فتح الباري: "النظائر، أي: السور المتماثلة في المعاني، كالموعظة، أو الحكم، أو القصص، لا المماثلة في عدد الآي". فتح الباري، ٢٥٩/٢.

[١٨٩] صحيح مسلم. كتاب: صلاة المسافرين. باب: ترتيل القراءة واجتناب الهذ، ح(٧٢٢). ص ٣٣١.

[١٩٠] كلها في مسلم. المصدر السابق نفسه.

[١٩١] أخرجه أبو داود. كتاب: الصلاة. باب: تحزيب القرآن. ح(١٣٩٦). ص٢٠٩.

[١٩٢] أخرجه ابن حبان. كتاب: الصلاة. باب: ذكر ما يستحب أن يقرأ به من السور ليلة الجمعة في صلاة المغرب والعشاء. ح(١٨٤١). ١٤٩/٥.

[١٩٣] أخرجه الطبراني. *المعجم الأوسط*. ح(٩٢٧٩). ١١٢/٩.

[١٩٤] ابن الزبير. *البرهان في تناسب سور القرآن*. ص١٨٨.

هذا وقد استفاضت الأحاديث الصحيحة في فعله ﷺ بالعمل بعلم المناسبات بين الآيات والسور في الصلاة المكتوبة والنافلة في الحضر والسفر، وكذا تبعه الصحابة الكرام. [١٩٥]

ثالثاً: أهمية مهارة مراعاة المناسبة: تتضح مهارة الإمام في اختيار الآيات والسور في الصلاة؛ بالآتي:

١- إثارة ذهن المصلي واستماعه لمعان مقصودة مجتمعة في الركعتين تعينه على التدبر في آيات الله المتلوة، والتفكر في مقاصد القرآن الكريم من خلال المناسبة بين الآيات أو السور.

٢- إبراز وجوه جديدة لإعجاز القرآن الكريم معتمدة على علم المناسبات، لا سيما إن قرأ الإمام فواتح السورة مع خواتمها، أو أواخر سورة ما مع فاتحة سورة ما بعدها، كما سنبيِّنه.

٣- اكتمال هذه المهارة مع غيرها من المهارات الثلاث المذكورة في البحث؛ تعطي أعلى درجات الخشوع، وأعظم مفاتح التفكر في آيات الله تعالى والتأمل في معانيها.

المطلب الثاني: ما يُعَدُّ من مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

١- اختيار الإمام القراءة في السورة الواحدة: ويندرج تحته:

أ- قراءة افتتاح السورة بخاتمتها. كأن يقرأ الإمام أوَّل خمس آيات من سورة البقرة في ركعة، وآخر آيتين من السورة نفسها في الركعة الثانية لاتحاد موضوعهما. قال الأصبهاني: " وافق آخرها أولها من ذكر أوصاف المؤمنين ثم الإشارة إلى وصف الكافرين"[١٩٦] وقال السيوطي: " إنه تعالى بدأ السورة بمدح المتقين ....، وبيَّن في آخر السورة أن الذين مدحهم في أولها هم أمة محمد ﷺ"[١٩٧] وقس على ذلك بقية سور القرآن الكريم، فكلها تحمل وجه ارتباط عند أهل الاختصاص.

ب- قراءة الإمام مقطعين متتابعين في السورة الواحدة؛ سواء اتَّحدا في الموضوع أم اختلفا في ذهن المأموم، وذلك أن أيّ سورة قرآنية تجمعها وحدة موضوعية واحدة، وإن كان ظاهرها أنها متنوعة الموضوعات.[١٩٨]

مثاله: حديث زيد بن ثابت ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقرأ في المغرب بسورة (الأعراف) في الركعتين كلتيهما.[١٩٩] وقرأ في صلاة الفجر بـ (ق) و(الواقعة) و(يس)[٢٠٠] وتواتر عن الصحابة الكرام ﷺ تقسيم السورة الطويلة أو سور

---

[١٩٥] ينظر: العبيد، جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة في كل فصوله.

[١٩٦] بازمول، محمد بن عمر بن سال. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. *علم المناسبات في السور والآيات*. ويليه: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي. مكة المكرمة: المكتبة المكية. ط١. ص١٢٦.

[١٩٧] المرجع السابق نفسه.

[١٩٨] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم من لوازم منهاج التفسير الموضوعي. للزيادة يراجع: خوجة، د. محمد بن محمود. ٢٠١٠م. *الوحدة القرآنية (دراسة تحليلية مقارنة)*. الرياض: دار كنوز إشبيليا. ط١.

[١٩٩] أخرجه ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب: ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما كان يقرأ بطولي الطوليين في الركعتين الأوليين من المغرب لا في ركعة واحدة، ح(٥١٧). أبو بكر محمد بن إسحاق. *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي. ١/٢٦٠.

[٢٠٠] العبيد. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة*. ص٢٣، ٢٤، ٢٦.

المفصل في الركعتين من المكتوبة؛ فقرأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (البقرة) في ركعتين، وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما (يس) في المغرب، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (الدخان) في المغرب. [٢٠١]

ت- قراءة الإمام مقطعين متباعدين في الموضوع نفسه وفي السورة نفسها، لا سيما في السور الطويلة.

مثاله: موضوع المنافقين في سورة (النساء)، فيكون المقطع الأول للركعة الأولى؛ من الآية: (٦٠-٧٠)، وبدايتها: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾ ، والمقطع الثاني للركعة الثانية، من الآية: (١٣٦-١٤٦)، وبدايتها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾ .

٢- اختيار الإمام الجمع في القراءة بين سورتين أو مقطعين في الركعتين، ويندرج تحته:

أ- قراءة سورتين متتابعتين بتسلسل المصحف. وهو فعل النبي ﷺ والصحابة ﷺ في الصلوات المكتوبة منها والنافلة.

مثاله: قرأ النبي ﷺ: (المعوذتين) في صلاة الفجر، و(الجمعة والمنافقون) في صلاة الجمعة، وفي صلاة العشاء ليلة الجمعة، و(الأعلى والغاشية) في صلاة العيدين، و(البروج والطارق) في صلاة المغرب. وقرأ عمر ﷺ: (يونس وهود)، و(الفيل وقريش) في صلاة الفجر. وقرأ عمران بن حصين ﷺ: (الزلزلة والعاديات) في صلاة المغرب.[٢٠٢]

ب- قراءة سورتين متباعدتين في الموضوع نفسه.

مثاله: قرأ النبي ﷺ سورة (الكافرون والإخلاص) في صلاة الفجر في السفر[٢٠٣]، وليلة الجمعة في صلاة المغرب،[٢٠٤] وموضوعهما توحيد الله تعالى والبراءة من الشرك. وأمر معاذ ﷺ بقراءة سورة (الأعلى والشمس)، [٢٠٥] وهما متباعدتان ويجمعهما الحديث عن النفس، ومنها الشقية، فقال في الأعلى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ﴾، وفي الشمس: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ ﴾ ،وهو الذي أقدم على عقر ناقة صالح عليه السلام.

ث- قراءة مقطعين في سورتين متباعدتين في الموضوع نفسه.

وهذا أمثلته كثيرة في القرآن لكثرة موضوعاته، لا سيما قصص الأنبياء، فقد ذكرت في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم.

مثاله: حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه (آزر) وقومه، ذكر في سورة (الأنعام) من الآية: (٧٤-٨٩)، وذكر كذلك في سورة (مريم) من الآية: (٤١-٥٠).

---

[٢٠١] المرجع السابق. ص٥٨. ٦٠. ٢٢٣، ٢٢٧.

[٢٠٢] ينظر: العبيد. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة*. المواضع الآتية: ص١٧٧، ٢٧٨، ١٨١، ١٨٣، ٢٧٧، ٨٥، ٨١، ٢٩٩.

[٢٠٣] المرجع السابق. ص٥٥.

[٢٠٤] المرجع نفسه. ص٢١٧.

[٢٠٥] المرجع نفسه. ص٢٢٢.

ج- قراءة سورة ما مع مقطع من الآيات في الموضوع نفسه.
مثاله: الآيات التي تتحدث عن شهر رمضان وأحكامه من الآية (١٨٣- ١٨٦) من سورة (البقرة) في الركعة الأولى، مع قراءة سورة (القدر) في الركعة الثانية.

ح- قراءة آخر السورة في ركعة، مع مفتتح السورة التي بعدها في الركعة الثانية. وهو من أكثر ما أظهره علم المناسبات بين الآيات والسور. وهذا يشمل كل سور القرآن الكريم، عدا قصار السور لتمام موضوعاتها.
مثاله: آخر ثلاث آيات من سورة (التحريم)، مع أوَّل آيتين من سورة (تبارك). يقول الإمام أحمد بن الزبير: " لما كان قد وقع في آخر سورة (التحريم) ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر, وأعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين ....، ثم أعقبت هذه القصة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها , وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جراءته....، ثم أعقب ذلك بقصة عرّيت عن مثل هذين السببين, وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين, وهو ذكر مريم ابنة عمران, ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب, وأن القلوب بيد العزيز الوهاب, أعقب تعالى ذلك بقوله الحق :﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾, وإذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء, وينزعه ممن يشاء, ويعز من يشاء, ويذل من يشاء, فقد اتضح اتصال سورة (الملك) بما قبلها."[٢٠٦]

٣- تخصيص آيات أو سور معينة موافقة لأحداث الواقع أو لزمن مخصوص. شريطة أن لا يداوم الإمام على هذا التخصيص إلاَّ بما جاء به الشرع في الصحيح. فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ خصَّ صلاة الصبح في يوم الجمعة بسورتي: السجدة والإنسان. فعن أبي هريرة ﷺ قال: " كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: (الم. تنزيل) ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ﴾ السجدة، و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴿١﴾ ﴾ ".[٢٠٧] وذكر بعض أهل العلم؛ أن الحكمة من قراءة السورتين: الإشارة إلى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة؛ لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة، فناسب الشارع الحكيم التذكير بذلك.[٢٠٨]والسنة أن تُقرأ بكمالهما. يقول الإمام النووي: "لا كما يفعله كثير من أئمة المساجد من الاقتصار على آيات من كل واحدة منهما مع تمطيط القراءة، بل ينبغي أن يقرأهما–أي: الإمام– بكمالهما، ويدرج قراءته مع ترتيل".[٢٠٩] وعدَّ الشُّقيري هذا الاقتصار: بدعة وتقصير.[٢١٠]

---

[٢٠٦] ابن الزبير. *البرهان في تناسب سور القرآن*. ص١٩٠.

[٢٠٧] صحيح البخاري. كتاب الجمعة. باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة. ح(٨٩١)، ص١٤٣؛ وصحيح مسلم. كتاب الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة. ح(٨٨٠). ص٣٥٢.

[٢٠٨] آل عبد الكريم. *البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم*. ص١٣٦.

[٢٠٩] النووي، أبو زكريا يحي بن شرف. ١٩٨٤م. *التبيان في آداب حملة القرآن*. تحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، (ط١)، الأردن: دار النفائس. ص١١٥.

وللإمام التخصيص العارض لحادثة زمانية، أو مكانية، ومثاله: ما حلَّ بالأمة من نكبات سياسية على أيدي الطغاة من الحكام الجبابرة؛ فيختار الإمام الآيات التي تتحدث عن مصير أمثال هؤلاء كالطاغية فرعون في قصة موسى عليه السلام. وبها يذكِّر الإمام المصلين بآيات الله تعالى ويربطهم بسننه في هذه الحوادث، فيحصل المطلوب من الخشوع والتدبر والاتعاظ. وهذا من فقه الإمام في اختيار الآيات والسور.

المطلب الثالث: مالا يُعَدُّ من مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة.

١- أن يأخذ الإمام بالرخصة في قراءة ما تيسَّر له مما يحفظ من القرآن الكريم دون مراعاة علم المناسبة في الآيات أو السور المختارة في الركعتين؛ فتجده يشرق ويغرب في مواضيع مختلفة ومتباعدة!. والواقع المشاهد في حال كثير من الأئمة؛ دخولهم في الصلاة دون الإعداد المسبق في اختيار الآيات أو السور! بل مما يستحضره من المحفوظ حال شروعه في تكبيرة الإحرام، وهذا وإن كان جائزاً لقوله تعالى: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾. فهو جواز عام لا يعدَّ من المهارة في حق الإمام الداعية، وقد أجاز النبي ﷺ للمسيء صلاته -رفاعة بن رافع ﷺ- أن يقرأ بما تيسر له من القرآن لتقوم به الصلاة وتصح، فقال له: "ثم اقرأ ما تيسَّر عليك من القرآن".[٢١١]

٢- القراءة بالتنكيس؛ وهي قراءة المتأخر قبل المتقدم من القرآن. وهي على أربعة أنواع: الأول: تنكيس الحروف، والثاني: تنكيس الكلمات، وهذان محرمان لأنهما أخرجا القرآن عن الوجه الذي تكلم الله به. والثالث: تنكيس الآيات. وهو محرم كذلك؛ لأن الراجح في ترتيب الآيات أنه توقيفي،[٢١٢] أما الرابع وهو: تنكيس السور؛ فمختلف فيه؛ لاختلاف القول الراجح بتوقيف ترتيب السور.[٢١٣] وقد ورد عن النبي ﷺ الحالين؛ أي: القراءة بالترتيب والقراءة بالتنكيس كقراءته سورة (النساء) قبل (آل عمران)[٢١٤] وغيرها؛ إلَّا أن الغالب في فعله ﷺ وفعل صحابته الكرام القراءة بترتيب السور في المصحف، وذلك لوفرة الأحاديث والآثار في ذلك.[٢١٥] وهو الأفضل باتفاق الفقهاء.[٢١٦]

---

[٢١٠] الشقيري، محمد عبد السلام خضر. ١٩٨٠م. *السنن والمبتدعات*. مكة المكرمة: دار الباز، ؛ بيروت: دار الكتب العلمية. ص١٨٤.

[٢١١] سنن أبي داود. كتاب: الصلاة. باب: من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود. ح(٨٦٠). ص١٣٣.

[٢١٢] ينظر: السعيد، أبو أنس صلاح الدين محمود (جمع وترتيب). *فتاوى العلماء حول القرآن الكريم*. الاسكندرية: دار القمة؛ دار الإيمان. ٢٠٠٥م، ص٢٢.

[٢١٣] المرجع السابق نفسه.

[٢١٤] وذلك في حديث حذيفة ﷺ في رواية مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح(٧٢٢)، ص٣١٥. وللاستزادة لمذهب الأئمة الأربعة في مسألة تنكيس القراءة؛ ينظر: الملحم، أحمد سالم. ٢٠٠١م. *فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن*. الأردن: دار النفائس. ط١. ص٢١٥.

[٢١٥] ينظر: العبيد. *جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة في العديد من مباحثه*.

[٢١٦] الملحم. *فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن*. ص٢١٥.

٣- قراءة جزء من الآية في إحدى الركعتين، وتكملتها في الركعة الثانية، أو قراءة آية في كل ركعة لا يتم بها المعنى. لأنه خلاف هدي النبي ﷺ في الصلاة، وقد أنكر العلماء هذا الفعل. يقول الشقيري: " واقتصار ألوف من الناس على قراءة آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢١٧]، بعد الفاتحة في الركعة الأولى، وعلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢١٨] في الركعة الثانية؛ أو يقرأ في الركعتين بعد الفاتحة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[٢١٩]، أو ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[٢٢٠] دلالة على تفريطهم في دين الله وجهلهم به، وتقصيرهم في طلب الواجب...، وقول بعض الحواشي: تكفي الآية القصيرة كـ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[٢٢١] تغرير وجهل وتضليل، وصلاة الرسول ﷺ وأصحابه ليست كذلك قطعاً).[٢٢٢]

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد: فقد حاولت الاقتصار على أهم العناصر الرئيسة في موضوع البحث. وهذه أهم نتاج البحث وتوصياته ما يأتي:

١. مصطلح (مهارة) استعمله النبي ﷺ في قارئ القرآن ولم يستعمله في غيره، مما دلَّ على أهميته وضرورة البحث فيه، وعليه انطلق موضوع البحث وعناصره.
٢. المهارات الأربع التي تحدث عنها البحث لها أصول شرعية من الكتاب والسنة والآثار.
٣. أسّ المهارات التي يحتاجها الإمام في قراءته في الصلاة ليكون مؤثراً في المصلين؛ أربع:

(مهارة ترتيل القرآن الكريم، مهارة الوقف والابتداء، مهارة التغني في القراءة، مهارة مراعاة المناسبة في اختيار الآيات والسور في الصلاة).وتتفرع عنها مهارات ضمنية، ذكرت في أطواء البحث.

٤. لا يمكن للإمام اكتساب أي مهارة مما ذكر، إن لم يتقن الأساس التي تقوم عليه؛ وهو علم التجويد.
٥. كل الأحاديث التي وصفت قراءة النبي ﷺ في صلاة الفريضة كانت بمرتبة الترتيل، ولم يستعمل ﷺ غيرها إلاَّ في صلاة القيام فكانت قراءته في بعضها مرسلة.

---

[٢١٧] سورة البقرة: ١٥٣، وتمامها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

[٢١٨] سورة البقرة: ٢٠، وتمامها: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[٢١٩] سورة الأحزاب: ٥٦.

[٢٢٠] سورة الصافات: ١٨٠-١٨٢.

[٢٢١] سورة الرحمن: ٦٤.

[٢٢٢] الشقيري. السنن والمبتدعات. ص٥٧-٥٨.

٦. أفضل مراتب القراءة في حق الإمام الداعية إلى التدبر والخشوع: مرتبة الترتيل اقتداءً بفعل النبي ﷺ.
٧. مما يعد من مهارة الترتيل: التخفيف في مقدار القراءة، وتطويل القراءة في الركعة الأولى وقصرها في الثانية، وتكرار الآية أو موضع منها في النوافل، ومعايشة الإمام خطاب القرآن ومحاكاته.
٨. ومما لا يعد من مهارة الترتيل: القراءة بالهذرمة، والتكلف في مخارج الحروف والصفات، وقراءة السورة أو غيرها بنَفَس واحد، والقراءة بقصر المنفصل، وتطويل القراءة في الركعة الثانية عن الأولى.
٩. مما يُعدُّ من مهارة الوقف والابتداء: القراءة بالوقف النبوي، والالتزام بالوقوف اللازمة في القرآن، والوقوف على أحرف (نعم، وبلى، وكلا)، وعلى لفظ الجلالة (الله) بالتفخيم.
١٠. لا يُعدُّ من مهارة الوقف والابتداء: الوقف القبيح أو الأقبح، ووصل آية رحمة بآية عذاب أو العكس، وتجاوز مواضع السكت لمن يقرأ بحفص، والوقف الاضطراري بسبب قطع النَّفس، والبدء في القراءة ببعض مواضع بداية الأجزاء.
١١. شدة أهمية مهارة التغني في قراءة القرآن لبالغ أثرها في المصلي وجذبه للصلاة وترغيبه بها.
١٢. ما يُعدُّ من مهارة التغني: تحبير القراءة، وارتفاع صوت القارئ وانخفاضه بحسب معاني الآيات، والقراءة بنغمة صفتها الحزَن والتشويق.
١٣. ما لا يُعدُّ من مهارة التغني: القراءة بالألحان الموسيقية وتقديمها على التجويد، أو التكلف في التغني والمغالاة بالترنم؛ كقراءة الترقيص والترعيد والتطريب، ومحاولة تقليد الأصوات على حساب التجويد.
١٤. مهارة مراعاة المناسبة بين الآيات والسور من نوادر ما يستعملها الأئمة في صلاتهم.
١٥. من أكثر مهارات مراعاة المناسبة تأثيراً: قراءة افتتاح السورة بخاتمتها، وآخر السورة مع بداية ما بعدها. وتخصيص مؤقت لآيات أو سور معينة موافقة لأحداث واقع وأزمنتهم.
١٦. لا يُعدُّ من مهارة مراعاة المناسبة: القراءة العشوائية مما تيسر من القرآن، أو القراءة بالتنكيس، وقراءة جزء من الآية أو آية في كل ركعة لا يتم فيها المعنى.

توصيات البحث:

يُعدُّ موضوع البحث لبنة أولى في سلسلة تطوير أداء الأئمة والخطباء، لذا يرى الباحث:

١. أن تقام دورات علميَّة تدريبية مكثَّفة في موضوع البحث للأئمة والخطباء على المستوى المحلي والدولي. وقد تم عقد دورة علميَّة مكثَّفة لنخبة من طلاب المعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة ولله الحمد.
٢. أن يُعقد مؤتمر عالمي في موضوع البحث وما يتصل به؛ تتكامل فيه الرؤى والمعارف، وتتبادل فيه الخبرات العالمية العلمية والعملية.

مراجع البحث:

- مصحف الشمرلي. القاهرة: طبعة شركة الشمرلي.
- مصحف المدينة المنورة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. الطبعة الثانية.
- الوسيلة لترتيل القرآن الكريم. *المصحف المعلم*. جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع. ١٤٢١هـ.
- إبراهيم مصطفى وجماعة. *المعجم الوسيط*. ط١. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- ابن أبي شيبة, أبو بكر عبد الله بن محمد. *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٠٩هـ. ط١.
- ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني. *الآحاد والمثاني*. تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. الرياض: دار الراية. ١٤١١هـ.ط١.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. *النشر في القراءات العشر*. مراجعة وإشراف: علي محمد الصباغ. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. *العلل المتناهية في الأحاديث الواهية*. تحقيق: إرشاد الحق الأثري. (٢). إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد. باكستان. ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم. *البرهان في تناسب سور القرآن*. تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاَّح. الدمام: دار ابن الجوزي. ١٤٣١**هـ**. ط٢.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. *إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. *مجموع الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤١٦هـ. ط١.
- ابن حبان، محمد بن حبان. *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط،. بيروت:مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م. ط١.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت: دار المعرفة. ١٣٧٩هـ.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. *مسند أحمد*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ وآخرون. مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ. ط١.
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق. صحيح *ابن خزيمة*. تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي.

– ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير* «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». تونس: الدار التونسية للنشر. ١٩٨٤هـ.

– ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله. *المغني*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ د. عبد الفتاح محمد الحلو. الرياض: دار عالم الكتب. ١٤٢٦هـ. ط٥.

– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع, ١٤٢٠هـ. ط٢.

– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *فضائل القرآن*. مكتبة ابن تيمية. ١٤١٦هـ. ط١.

– ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد. *سنن ابن ماجة*. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ. ط١.

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. *لسان العرب*. القاهرة: دار الحديث١٤٢٣هـ. ط١.

– أبو حيان، محمد بن يوسف. *البحر المحيط*. دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وجماعة. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

– أبو زيد، بكر بن عبد الله. *بدع القراء القديمة والمعاصرة*. الرياض: دار الصميعي. ١٤١٦هـ.

– أبو شادي، أبي عبد الله سيد بن مختار. حكم *قراءة القرآن بالمقامات الموسيقية والألحان*. القاهرة: معهد الرحمة العاملي الأزهري للقرآن الكريم. ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

– أبو نعيم الأصفهاني، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٥هـ. ط٤.

– أبو يعلى، أحمد بن علي. *المعجم*. تحقيق: إرشاد الحق الأثري. إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد. ١٤٠٧هـ. ط١.

– أبي داود، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ. ط١.

– الأشموني، أحمد بن محمد بن عبد الكريم. *منار الهدى في بيان الوقف والابتداء*. تحقيق ودراسة: أ.د. أحمد عيسى المعصراوي؛ أحمد عبد الرازق البكري. القاهرة: دار الإمام الشاطبي. ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م. ط١.

– آل عبد الكريم، أحمد بن عبد الله بن محمد. *البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم*. الرياض: مكتبة دار المنهاج. ١٤٣٢هـ.

– بازمول، محمد بن عمر بن سال. *علم المناسبات في السور والآيات*. ويليه: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي. مكة المكرمة: المكتبة المكية. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.ط١.

– البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل. صحيح *البخاري*. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

– البدر، بدر بن ناصر. *حال السلف مع القرآن*. الرياض: دار الحضارة. ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م. ط١.

– البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

– البيهقي، أحمد بن الحسين، *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م. ط٣.

– الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. جامع *الترمذي*. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م. ط١.

- جمعية المحافظة على القرآن. *المنير في أحكام التجويد*. الأردن: المركزية. ٢٠٠٧م.ط١١.
- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.ط١.
- الحفيان، أحمد محمود عبد السميع. *أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات*. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. ط١.
- الحمد، غانم قدوري. *شرح المقدمة الجزرية*. جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. ط١.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد. *تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل*. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٥هـ. ط١.
- خليل، حمدي عبد الفتاح مصطفى. *الوقوف اللازمة في القرآن الكريم وعلاقتها بالمعنى والإعراب*. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث؛ الجزيرة للنشر والتوزيع. ٢٠١٠م. ط١.
- خوجة، د. محمد بن محمود. *الوحدة القرآنية* (دراسة تحليلية مقارنة)، الرياض: دار كنوز إشبيليا. ٢٠١٠م. ط١.
- الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد. *المكتفى في الوقف والابتداء*. تحقيق: جمال الدين محمد شرف. طنطا: دار الصحابة للتراث.١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م. ط١.
- الدوسري، إبراهيم بن سعيد، *التجريد لمعجم مصطلحات التجويد*. الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع. ١٤٣٢هـ. ط١.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ . ط٣.
- زادة, يوسف أفندي. *رسالة المدات*. تحقيق: إبراهيم محمد الجرمي. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. ط١.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد أبو الفيض. *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- الزركشي، بدر الدين. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل. الرياض: دار عالم الكتاب. ٢٠٠٣م.
- السجاوندي، محمد بن طيفور الغزنوي. *مقدمة علل الوقوف في القرآن الكريم*. تحقيق: د. أشرف أحمد حافظ عبد السميع. طنطا: دار الصحابة للتراث. ط١.
- السخاوي، علي بن محمد علم الدين. *جمال القراء وكمال الإقراء*. تحقيق: د. مروان العطيَّة؛ د. محسن خرابة. دمشق: دار المأمون للتراث. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م. ط١.
- السعيد، أبو أنس صلاح الدين محمود (جمع وترتيب). *فتاوى العلماء حول القرآن الكريم*. دار القمة؛ دار الإيمان، الاسكندرية، ٢٠٠٥م.
- السوسي، محمد بن محمد بن سليمان. *جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد*. تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع. الكويت: مكتبة ابن كثير ؛ بيروت: دار ابن حزم. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م. ط١.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *الإتقان في علوم القرآن*. المدينة المنورة: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤٢٦هـ. ط١.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *جامع الأحاديث*. ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. على جمعة، طبع على نفقة: د حسن عباس زكى.
- شرشال، أحمد بن أحمد. *الوصل والوقف وأثرها في بيان معاني التنزيل*. مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.العدد (٤٠). ١٤٢٠/١١هـ- ٢٠٠٠/٣م.
- الشريف، معروف محمد رشاد. *التغني بالقرآن وعلاقته بالأنغام*. (رسالة ماجستير). الأردن: كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت. ٢٠٠٣م.
- الشقيري، محمد عبد السلام خضر. *السنن والمبتدعات*. مكة المكرمة: دار الباز، ؛ بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٨٠م.
- صالح، عبد الكريم إبراهيم. *الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم*. القاهرة: دار السلام. ٢٠٠٦م. ط١.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم. القاهرة: دار الحرمين.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. ٢٠٠٠ م.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد. *شرح معاني الآثار*. تحقيق: محمد زهري النجار. محمد سيد جاد الحق. راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي. عالم الكتب. ١٩٩٤م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- عبد الرحيم، إسماعيل صادق. *الوقف الممنوع في القرآن الكريم*. القاهرة: دار البصائر. ٢٠٠٩م.
- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. *المصنف*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (٢). الهند: المجلس العلمي ؛ بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٠٣هـ.
- العبيد، إبراهيم بن علي. جامع أحاديث وآثار القراءة في الصلاة. الرياض: مكتبة دار المنهاج. ١٤٢٨هـ.
- عتر، أ. د. نور الدين. *علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه*. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية. ٢٠١١م. ط١.
- الفيروز آبادي. *القاموس المحيط*. بيروت: المكتبة العصرية. ١٤٣٠هـ. ط١.
- القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح. *سنن القراء ومناهج المجودين*. المدينة المنورة: مكتبة الدار. ١٤١٤هـ. ط١.
- القرش، أبو عبد الرحمن جمال. *أضواء البيان في معرفة الوقف والابتداء*. الاسكندرية: الدار العالمية. ٢٠٠٥م. ط١.

- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد. *التذكار في أفضل الأذكار*. حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط. الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ١٣٩٩هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية. ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. ط١.
- القيرواني، أحمد بن أحمد الشقانصي. *عمدة القارئين والمقرئين*. دراسة وتحقيق: عبد الرزاق بسرور. بيروت: دار ابن حزم. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. *المعجم الوسيط*. دار الدعوة.
- محمود، بدر حنفي. *البسيط في علم التجويد*. (د.ن، د.ت).
- مسلم, أبو الحسين بن حجاج بن مسلم القشيري. *صحيح مسلم*. الرياض: دار السلام. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. ط١.
- مسلم، د. مصطفى. *مباحث في التفسير الموضوعي*. دمشق دار القلم؛ بيروت: الدار الشامية.٢٠٠٧م. ط٥.
- الملحم، د. أحمد سالم. *فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن*. الأردن: دار النفائس. ٢٠٠١م
- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. *التيسير بشرح الجامع الصغير*. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي. ١٩٨٨م. ط٣.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. *سنن النسائي الصغرى*. الرياض: دار السلام. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- نصر، عطية قابل. *غاية المريد في علم التجويد*. (٤). القاهرة. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- النووي، أبو زكريا يحي بن شرف. *التبيان في آداب حملة القرآن*. تحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان. الأردن: دار النفائس. ١٩٨٤م. ط١.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. *المنهاج شرح صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٣٩٢هـ. ط٢.
- الهروي، محمد بن أحمد أبو منصور. *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ، ٢٠٠١م. ط١
- ياسين، حكمت بن بشير. *التفسير الصحيح: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير المأثور*. المدينة المنورة: دار المآثر. ١٤١٩هـ . ط١.